المملكة المغربية



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

التوحيد

من مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني
بشرح كفاية الطالب الرباني لأبي الحسن

السنة الأولى من التعليم الإعدادي العتيق

كتاب التلميذ والتلميذة

عنوان الكتاب :

التـــوحيــد

من مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني بشرح كفاية الطالب الرباني لأبي الحسن

السنة الأولى من التعليم الإعدادي العتيق

الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

رقم الإيداع القانوني : 2018MO3444

ردمك : 978-9954-726-17-4

طبعة 1439هـ / 2018م

الإخراج الفني والطباعة



دار أبي رقراق للطباعة والنشر

10 شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط

الهاتف : 83 75 20 0537 **الفاكس** : 89 75 20 0537


بسم الله الرحمن الرحيم

مــقــدمــة

حمدا لله الواحد الأحد، المتفرد بالربوبية المستحق للعبادة، وصلاة وسلاما تامين دائمين على سيدنا محمد بن عبد الله، النبي الأمين خير من عرف الله حق المعرفة، وحقق الاخلاص قولا وعملا، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها التلميذ، أيتها التلميذة

نضع بين يديكما «**كتاب التوحيد من مقدمة رسالة ابن ابي زيد القيراني بشرح كفاية الطالب الرباني لأبي الحسن للسنة الأولى من التعليم الإعدادي العتيق**»، وهو معين تربوي في مادة علمية من أهم المواد الشرعية التي أنتما مطالبان بالولوج إلى مداركها شيئا فشيئا حتى تكتمل لديكما المعرفة الضرورية بأصولها، وتذوق مدلولاتها ومعانيها.

وتتجلى أهمية هذه المادة في كون موضوعها، هو أول واجب على كل مكلف وهو معرفة الله سبحانه وتعالى، والإيمان به إلهاً واحدا أحدا، فردا صمدا ربَّ العلمين، وخالق الأكوان أجمعين، وما يتبع ذلك من الإيمان بالملائكة والأنبياء والرسل وعالم الغيب والمعروفة عند فقهاء هذا العلم بـــ : الإلهيات والنبوات والسمعيات .

وقد اعتمد في بناء محتوى مادة الكتاب على مقاربة تربوية تفاعلية ذات أنشطة تعليمية تعلمية تهدف إلى اكتسابكما المعرفة بعلم التوحيد، وفهم أسراره، وتمثل مقاصده، وتقريب المفاهيم المتداولة لدى علماء هذا الفن المعروف عند البعض بالفقه الأكبر.

والأمل معقود على جهدكما وسعيكما في المزيد من المثابرة والاجتهاد؛ لتفتح لكما الآفاق واسعة في مباحث هذا العلم الذي به يُعرف الله معرفة يتحقق بها الإخلاص، وصدق التوجه إلى الله الواحد الأحد في كل الحركات والسكنات.

وفقنا الله وإياكما إلى الإخلاص في العلم والعمل إنه تعالى سميع مجيب الدعاء

كيف أستعمل كتابي

الدرس 1

التعريف بابن أبي زيد وكتابة الرسالة

أهداف الدرس: يحدد لك الأهداف المراد تحقيقها من الدرس

أهداف الدرس

1- أن أتعرف من هو ابن أبي زيد القيرواني.

2- أن أطلع آثار ابن أبي زيد القيرواني ومكانته العلمية.

3- أن أتعرف مميزات كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.



التمهيد

إن تعريف المؤلف بنفسه في بداية تأليفه لَمن مهمات الأمور؛ لأن جل ما يذكره في كتابه من العلوم النقلية يحتاج إلى معرفة القائل، وعدالة الناقل، فلا تؤخذ العلوم النقلية إلا عمن كان عالما عاملا، قال ابن سيرين: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، ولذلك قال العلماء: إن العمل أو الإفتاء من الكتب التي جهل مؤلفوها ولم يعلم صحة ما فيها لا يجوز.

فمن هو ابن أبي زيد القيرواني؟ وما أهمية كتابه الرسالة؟



المتن

قالَ أَبو الحَسَنَ عَليُّ بْنُ محمد شارِحُ الرِّسالَةَ: «ومَناقِبُ الشَّيْخِ وسيرَتُهُ مَعْروفَةٌ نَقَلْنا مِنْها جُمْلَةً في الأَصْلِ ولِلَّه الْحَمْدُ».

وقالَ الشيخُ زَروقُ في شَرْحِه عَلى الرِّسالَة: «إنَّ رِسالَةَ ابنَ أَبي زَيد شَهيرَةُ الْمَناقِبِ وَالْفَضائِل، غَزيرَةُ النَّفْعِ في الْفِقْهِ والْمَسائِل؛ منْ حيثُ إنَّها مَدْخَلٌ جامِعٌ لِلْأَبْواب، قَريبَةُ الْمَرامِ في الكتبِ والْحِفظِ والاكْتِساب، وقَد اعْتَنَى بها الْأَوائِلُ وَالْأَواخِرُ، وانْتَفَعَ بِها أَهْلُ الْباطِنِ وَالظّاهِرِ».

الشرح
شرح المفردات الواردة في المتن في سياقها

استخلاص المضامين
أسئلة عما جاء في المتن من مضامين

التحليل
تحديد محاور الدرس وتحليلها من خلال تفكيك ما جاء في المتن من مضامين

الفهم

الشرح:

اعتقادات : من اعتقد يعتقد اعتقادا أي صدق تصديقا جازما.

الجوارح : جمع جارحة وهي الأعضاء؛ فالعين جارحة واليد جارحة وهكذا.

استخلاص المضامين:

أستخرج من المتن ماذا فرض على القلب والجوارح.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: تعريف علم التوحيد وأهميته

1 - تعريف علم التوحيد

التوحيد لغة: هو العلم بأن الشيء واحد، وشرعا يسمى علم التوحيد، وعلم أصول الدين وعلم الكلام وهو: علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية. [المواقف لعضد الدين الإيجي 1 /31 بتصرف].

وهو علم يبحث في مسائل الاعتقاد كحدوث العالم للتوصل إلى معرفة وجود الله وما يجب له، وما يستحيل، وما يجوز من الصفات، وكذا ما يجب في حق الرسل وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم إلى غير ذلك من السمعيات: كالإيمان بالملائكة والكتب السماوية وأحوال المعاد مما سيؤول إليه أمر الثقلين من الشقاوة والسعادة والعذاب والنعيم، وكما يسمى علمَ التوحيد يسمى علمَ أصول الدين وعلمَ الكلام والفقهَ الأكبر. وهو من أشرف العلوم وأسماها.

2- أهمية علم التوحيد

لعلم التوحيد مكانة سامية؛ لأن الغاية منه معرفة وجود الباري تعالى واتصافه بجميع صفات

23

التقويم

1- أعرف علم التوحيد.

2- أذكر أسماء علم التوحيد، ولماذا تعددت أسماؤه.

3- أبين أهمية علم التوحيد.

4- ما منزلة علم التوحيد بين العلوم الدينية ؟

الاستثمار

قال القاضي عبد الوهاب: إن عقيدة الإمام أبى محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني –الملقب: بمالك الصغير– عقيدة واضحة المعالم، نيرة الأدلة، سليمة المباني، طيبة الأهداف والمعاني صدر بها كتابه الشهير المسمى: الرسالة التي وضعها باقتراح تلميذه الصالح الشيخ محرز بن خلف البكري. [شرح عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني للإمام القاضي عبد الوهاب ص: 7]

أتأمل النص وأنجز الآتي:

1- أذكر بعض مميزات الرسالة.

2- أذكر بعض شراح الرسالة.

الإعدادي القبلي

1- أحفظ من قول المصنف: «باب ما تنطق به الألسنة... إلى: ولا لآخريته انقضاء».

2- بماذا يؤمن القلب وينطق اللسان؟

25

التقويم أسئلة تهدف إلى قياس مدى استيعابك للمكتسبات الجديدة

الاستثمار عبارة عن نص مذيل بأسئلة تستهدف استثمار مكتسباتك الجديدة وتثبيتها

الإعداد القبلي أسئلة مساعدة لك على الإعداد للدرس القادم، لكي تشارك بفعالية في بنائه داخل القسم

كفايات تدريس مادة التوحيد
بالسنة الأولى من التعليم الإعدادي العتيق

ينتظر في نهاية الموسم الدراسي أن يكون المتعلم(ة) قادرا على:

- ✓ استحضار معنى الإيمان بالله إلها واحدا أحدا متصفا بصفات الجلال والجمال والكمال.
- ✓ تمثل معنى الإيمان بالله في حياته الشخصية وسلوكه الفردي.
- ✓ تمثل الإيمان بعالم الغيب مما أخبر به القرآن الكريم، وصح خبره في سنة النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.
- ✓ بيان علاقة اختيار ولي الأمر بالعقيدة، باعتباره ضرورة للحفاظ على الأمن الروحي، والسلم الاجتماعي.

التوزيع الأسبوعي والدوري لمفردات البرنامج

الدورة	الأسبوع	المواضيـــع
النصف الأول من السنة الدراسية	1	تقويم تشخيصي التعريف بابن أبي زيد القيرواني وكتابة الرسالة
	2	سبب تأليف الرسالة ومحتواها
	3	علم التوحيد: تعريفه وأهميته.
	4	ما يجب اعتقاده بالقلب والنطق به
	5	تنزيه الله تعالى عن إحاطة المخلوق بذاته وعلمه
	6	من أسماء الله الحسنى الدالة على صفاته
	7	إحاطة علمه سبحانه بكل شيء
	8	أزلية صفاته عز وجل وتكليمه موسى عليه السلام
	9	فرض كتابي محروس رقم: 1
	10	تصحيح الفرض الكتابي رقم: 1
	11	الإيمان بالقضاء والقدر
	12	الهداية والإضلال مما سبق به علم اللطيف الخبير
	13	القول في المشيئة والسعادة والشقاء
	14	ربوبيته تعالى للعالمين وبعثته للرسل إليهم
	15	رسالة سيدنا محمد ﷺ خاتمة الرسالات السماوية
	16	فرض كتابي محروس رقم: 2
	17	تصحيح الفرض الكتابي رقم: 2

الدورة	الأسبوع	المواضيـــع
النصف الثاني من السنة الدراسية	18	الإيمان بقيام الساعة والبعث والجزاء
	19	خروج عصاة المومنين من النار بشفاعة النبي ﷺ
	20	الجنة وأهلها ونعيمها
	21	عرض الخلائق بين يدي الله تعالى
	22	الإيمان بالميزان وإيتاء الصحف
	23	فرض كتابي محروس رقم: 1
	24	تصحيح الفرض الكتابي رقم: 1
	25	الإيمان بالصراط
	26	الإيمان بحوض النبي ﷺ وبيان من يرده
	27	الإيمان يزيد وينقص
	28	منع تكفير أحد من أهل القبلة وما يجب الإيمان به من الغيبيات
	29	الإيمان بالملائكة عليهم السلام
	30	تفاضل القرون وأفضلية الخلفاء الراشدين
	31	ما يجب اعتقاده في شأن الصحابة رضي الله عنهم
	32	وجوب طاعة ولي الأمر وترك المراء في الدين
	33	فرض كتابي محروس رقم: 2
	34	تصحيح الفرض الكتابي رقم: 2

الدرس 1

التعريف بابن أبي زيد وكتابه الرسالة

أهداف الدرس

1- أن أتعرف من هو ابن أبي زيد القيرواني.

2- أن أطلع آثار ابن أبي زيد القيرواني ومكانته العلمية.

3- أن أتعرف مميزات كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.

التمهيد

إن تعريف المؤلف بنفسه في بداية تأليفه لَمن مهمات الأمور؛ لأن جل ما يذكره في كتابه من العلوم النقلية يحتاج إلى معرفة القائل، وعدالة الناقل، فلا تؤخذ العلوم النقلية إلا عمن كان عالما عاملا، قال ابن سيرين: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، ولذلك قال العلماء: إن العمل أو الإفتاء من الكتب التي جهل مؤلفوها ولم يعلم صحة ما فيها لا يجوز.

فمن هو ابن أبي زيد القيرواني؟ وما أهمية كتابه الرسالة؟

المتن

قالَ أبُو الحَسَنَ عَليُّ بْنُ محمد شارِحُ الرِّسالَةَ: «ومَناقِبُ الشَّيْخِ وسيرَتُهُ مَعْروفَةٌ نَقَلْنا مِنْها جُمْلَةً في الأَصلِ ولِله الْحَمْدُ».

وقالَ الشيخُ زَروقُ في شَرْحِه عَلى الرِّسالَةَ: «إنَّ رِسالَةَ ابنَ أَبي زَيد شَهيرَةُ الْمَناقِبِ وَالْفَضائلِ، غَزيرَةُ النَّفعِ في الْفقْه والْمَسائلِ؛ مِنْ حيثُ إنَّها مَدْخَلٌ جامعٌ لِلْأَبْواب، قَريبَةُ الْمَرام في الكتبِ والْحِفظِ والاكْتِساب، وقَدِ اعْتَنَى بِها الْأَوائلُ وَالْأَواخِرُ، وانْتَفَعَ بِها أَهْلُ الْباطِنِ وَالظّاهِرِ».

الفهم

الشرح:

مناقب : جمع منقبة وهي الخصلة الحميدة.

الاكتساب: التحصيل.

المسائل : فروع الفقه.

استخلاص المضامين:

1- أستخلص من المتن من المقصود بقول أبي الحسن: ومناقب الشيخ وسيرته معروفة.

2- أستخلص من النص أهم مناقب رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: التعريف بابن أبي زيد القيرواني

هو العالم الجليل أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني إمام المالكية في وقته، ويلقب بالنفزاوي نسبة إلى نفزاوة من قبائل إفريقية، ولد بالقيروان سنة 310هـ، وبها نشأ وتربى ودرَس؛ فقد حفظ القرآن في صغره وانتقل إلى دراسة علوم الإسلام والعربية، وظهر نبوغه مبكرا حيث تذكر المصادر أنه ألف الرسالة وهو ابن سبع عشرة سنة.

إن تفوق ابن أبي زيد رحمه الله ونبوغه المبكر صقله وأنضج عقله بسبب أخذه عن شيوخ كبار من أئمة عصره، وعددهم كثير وفي أماكن مختلفة، وقد أكسبه تعدد شيوخه وتلاميذه وتنوع اختصاصاتهم شهرة عالية ومكانة علمية سامية جعلتاه مقصدا لطلاب العلم والمعرفة من مختلف

البلاد، وقد حباه الله بأربعة أشياء: السعة في العلم والدين والمال وصحة البدن، وقد لُقب بخليفة مالك، وبمالك الأصغر.

وبعد مسيرة علمية غنية لهذا العالم الكبير لبى داعي ربه مساء الإثنين ثلاثين شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة هجرية تاركا وراءه تراثا علميا ضخما يقدر بحوالي أربعين مصنفا في مختلف فنون العلم.

ثانيا: أهمية كتاب الرسالة لابن أبي زيد

كتاب الرسالة من أهم مصنفات الإمام ابن أبي زيد القيرواني، حظيت باهتمام كبير من لدن العلماء فلم يعلم كتاب في الفقه المالكي بعد الموطأ والمدونة حظي بمثل ما حظيت به الرسالة من قبول وعناية وشهرة وانتشار في الآفاق تدريسا وشرحا وحواشي، تميزت بالاختصار والدقة، وهي من أوائل مختصرات الفقه المالكي. اشتملت على أربعة آلاف مسألة وأربعمائة حديث مما يشهد لمؤلفها بالتفوق العلمي والرسوخ في فقه المذهب المالكي وبعد الفراغ من تأليفها بعث بها مؤلفها إلى الشيخ أبي بكر الأبهري الذي أظهر الفرح بها، وأشاع خبرها بين الناس، وأمر ببيعها فقال لا تباع إلا بوزنها ذهبا وزنا بوزن، فجاء وزنها ثلاثمائة دينار ونصف.

وقد استمر الإقبال على الرسالة منذ تأليفها إلى عصرنا هذا وترجمت إلى اللغتين: الانجليزية والفرنسية.

التقويم

1- بماذا اشتهر ابن أبي زيد القيرواني في أثناء طلبه العلم؟

2- أين تتجلى الأهمية العلمية لكتابه الرسالة؟

3- ما هي القيم الخلقية التي يجب أن يتصف بها طالب العلم؟

الاستثمار

قال العلامة علي الصعيدي العدوى المالكي في مناقب الإمام ابن أبي زيد القيرواني: «منها كثرةُ حفظه وديانتِه، وكمالُ ورعه وزهدِه، وصَله الله بثلاثة أشياء: صحةِ البدن والسعةِ في العلم والمال، ومن قرأ كتابه هذا وعمل بما فيه لا بد أن يكون فيه جميعُ هذه الأوصاف أو بعضُها، وكان يلقب بخليفة مالك وبمالك الأصغر، وكان يقال فيه: قطب المذهب، وكان صاحب فراسة، فربما قال حدثتني نفسي أن في هذا المحل كذا وكذا سؤالا، فأيكم صاحب سؤال كذا؟ فيقول أنا، فيجيبه».

[حاشية العدوى على كفاية الطالب الرباني لأبي الحسن على الرسالة 1 /11]

اقرأ النص وأنجز الآتي:

1- أعرف بأبي الحسن وعلي العدوي رحمهما الله.

2- أستخرج مناقب الإمام أبي زيد القيرواني رحمه الله.

3- أبرز مكانته العلمية.

الإعدادي القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأنجز الآتي:

1- أبحث عن سبب تأليف الرسالة.

2- أبحث من خلال المتن عن معالم خير القلوب.

الدرس

2

سبب تأليف الرسالة ومحتواها

أهداف الدرس

1- أن أتعرف سبب تأليف الرسالة ومحتوياتها.

2- أن أتعرف على معالم خير القلوب.

التمهيد

خلق الله الإنسان فأبدع في صنعه؛ صوره فأحسن صوره، وخلقه في أحسن تقويم، وأمره بالتأمل في نعم الله عليه في نفسه، ليستدل بذلك على خالقه، وأوجب عليه معرفة كل ما يتعلق بواجب أمور الديانة من أفعال وأقوال مؤسسة على توحيد الله تعالى، وهذا ما أكده الإمام الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي زيد القيرواني في مقدمة كتابه الرسالة.

فما سبب تأليف ابن أبي زيد لكتابه الرسالة؟ وما هي أهم محتوياتها؟

المتن

قال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى الله عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَءَالِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الله بْنُ أَبِي زَيْدٍ القَيْرَوَانِي رَضِيَ الله عَنْهُ وَأَرْضَاهُ: الحَمْدُ لله الّذِي ابْتَدَأَ الإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ وَأَبْرَزَهُ إِلَى رِفْقِهِ، وَمَا يَسَّرَهُ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْهِ عَظِيمًا، وَنَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ، وَأَعْذَرَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ المُرْسَلِينَ الخِيرَةِ مِنْ خَلْقِهِ، فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ، وَأَضَلَّ مَنْ خَذَلَهُ بِعَدْلِهِ، وَيَسَّرَ

المُومِنِينَ لِلْيُسْرَى، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلذِّكْرَى، فَآمَنُوا بِاللهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتُبُهُ عَامِلِينَ، وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَمَا حَدَّ لَهُمُ، وَاسْتَغْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ. . .

أما بعد: أَعَانَنَا اللهُ وَإِيَاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ، وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ، فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ، مِمَّا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ القُلُوبُ وَتَعْمَلُهُ الجَوَارِحُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ القُلُوبِ أَوْعَاهَا لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى القُلُوبِ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقْ الشَّرُّ إِلَيْهِ وَأَوْلَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ، وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاغِبُونَ إِيصَالُ الخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ المُومِنِينَ لِيَرْسَخَ فِيهَا، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ».

الفهم

الشرح:

أبرزه إلى رفقه : أخرجه وأظهره إلى منفعته.

نبهه بآثار صنعته: أيقظه بالاعتبار في مصنوعاته.

الخيرة : – بكسر الخاء وفتح الياء – المختارين من خلقه.

يُراض : يُذلل ويُخضع.

استخلاص المضامين:

1- أستخرج من المتن بعض آداب التأليف والتدريس.

2- أستخلص من المتن الواجبَ من أمور الديانة .

3- أستخرج من المتن ما ينبغي أن يعتني به الناصحون المرشدون.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: الثناء على الله سبحانه بنعمه

قال المصنف رحمه الله: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ**» بعد أن عرَّف المصنف رحمه الله بنفسه ابتدأ تأليفه بالحمد والثناء على الله سبحانه أداءً لما وجب عليه من شكر المُنعم على نعمه، وعملا بحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم» [سنن أبي داود كتاب الأدب باب: الهدي في الكلام] أي أقطع قليل البركة، وبيان معنى الحمد هو الآتي:

أ- **لغة:** الوصف بالجميل على جهة التعظيم، والوصف لا يكون إلا باللسان.

ب- **اصطلاحا:** فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما، والفعل أعم من الوصف؛ فهو إما فعلُ القلب؛ أي اعتقاد اتصافه سبحانه بصفات الكمال والجمال والجلال، وإما فعل اللسان؛ أي ذكر ما يدل عليه سبحانه، وإما فعل الجوارح وهو الإتيان بأفعال تدل على الثناء على الله تعالى. والشكر لغة هو الحمد. وأما الشكر اصطلاحا فهو: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خُلق لأجله كصرف النظر إلى مطالعة مصنوعاته والاستدلال بها عليه سبحانه.

ثانيا: سبب تأليف الرسالة ومحتواها

1 - سبب تأليف الرسالة

قال المصنف رحمه الله: «**فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ**» بعد حمد الله وشكره على نعمه والصلاة على نبيه سيدنا محمد ﷺ بين -رحمه الله- أن سبب تأليف الرسالة سؤال الشيخ محرز له أن يكتب جملة مختصرة من واجب أمور الديانة.

2 - محتوى كتاب الرسالة لابن أبي زيد

قال المصنف رحمه الله: «**مِمَّا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقده القُلُوبُ وَتَعْمَلُهُ الجَوَارِحُ، وَمَا يَتَّصِلُ بِالواجِبِ مِن ذَلِكَ مِنَ السُّنَنِ مِنْ مُؤَكَّدِهَا وَنَوافِلِهَا وَرَغَائِبِهَا وَشَيْءٍ مِنَ الْآدَابِ مِنْهَا وَجُمَلٍ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ وَفُنُونِه**»

اشتمل كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني رحمه الله على جملة مختصرة قليلةِ اللفظ كثيرةِ المعنى من الأمور الآتية:

أ- الواجب من أمور الديانة مما تنطق به الألسنة كالشهادتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحوها.

ب- الواجب من أمور الديانة مما تعتقده الأفئدة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره.

ج- الواجب من أمور الديانة مما تعمله الجوارح كالصلاة والزكاة والصيام والحج والبيع والنكاح وغيرها.

د- ما يتصل بالواجب ويكمله من السنن المؤكدة والنوافل والرغائب.

هـ- شيء من الآداب وأمهات مسائل الفقه وأصوله التي ختم بها الكتاب.

ثالثا: خير القلوب وأهم ما يعتني به الناصحون

ذكر المصنف رحمه الله أن خير القلوب وأوعاها وأحفظَها وأقربَها للخير القلبُ الذي لم يسبق إليه الشر؛ لأنه إذا لم يسبق إليه الشر أحسنَ قبولَ ما يرد عليه من الخير، أما إذا سبق إليه اعتقاد الشر عظمت الحيلة في إزالته، وبَيَّن بعد ذلك أن أولى وأحق ما يعتني به الناصحون والمرشدون إلى الخير ثلاثة أشياء:

أولها: إيصال الخير وتبليغه إلى قلوب أولاد المؤمنين لكي يرسخ ويثبت فيهم.

ثانيها: تنبيههم وإيقاظهم من سِنة الجهالة والغفلة عن قواعد الدين التي هي معالم الديانة.

ثالثها: تنبيههم على الوقوف عند حدود الشريعة وهي الأحكام المتعلقة بأفعال المكلفين، وما يجب عليهم أن تعتقده قلوبهم من الدين وتعمل به جوارحهم من أحكام الشريعة.

من فوائد الدرس: استحسان افتتاح الأعمال الصالحة بآدابها الشرعية ومنها البسملة والحمدلة أداء لحق الله تعالى وتحصيلا للبركة؛ لأن الثناء على الله بنعمه مؤذن باستمرارها وزيادتها، والتذكير بأن السعادة الدنيوية والأخروية لا تتحقق إلا بحسن المعتقد وطهارة القلب وحفظ الجوارح والإخلاص في العمل.

التقويم

1- ما هو الحمد لغة واصطلاحا؟ وما الفرق بين الحمد والشكر؟

2- أبين المراد بقول المصنف: «ما تَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ».

3- أذكر ما يجب أن يعتني به الناصحون والمرشدون إلى الخير.

الاستثمار

أمور الديانة هي مسائلها، والدين مأخوذ من دان يدين إذا أطاع، والديانة المعاملة، والمراد ما يدان الله به؛ أي يعبد به، وهو شريعته المحتوية على وظائف الدين القولية والفعلية.

أتأمل هذا الكلام وأنجز الآتي:

1- أعرف: الدين والشريعة.

2- أبين الفرق بين الدين والشريعة مستدلا على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة.

3- أبين أهم عمل الجوارح من أمور الديانة مع الاستدلال على ذلك.

الإعداد القبلي

أقرأُ متن الدرس القادم وأنجز الآتي:

1- أَبحث عن معاني هذه المفردات: التوحيد – العقيدة – علم الكلام – الإيمان– العبادة.

2- أذكرُ أهمية العقيدة في حياتي الدنيوية والأخروية.

الدرس 3

علم التوحيد: تعريفه وأهميته

أهداف الدرس

1- أن أتعرف معنى التوحيد لغة واصطلاحا.

2- أن أميز بين: التوحيد، والعقيدة، وعلم الكلام.

3- أن أدرك أهمية العقيدة في استقامة الفرد وصلاح المجتمع.

التمهيد

إن أساس استقامة الفرد هو صحة عقيدته وقوة إيمانه، ولذلك اهتم علماء الأمة بالعقيدة فصنفوا فيها كتبا خاصة، وخصص بعضهم جزءا من مؤلفاتهم للحديث عن العقيدة وعلم التوحيد ومنهم الإمام ابن أبي زيد القيرواني في مقدمة رسالته؟

فما المقصود بعلم التوحيد؟ – وما الفرق بين التوحيد والعقيدة ؟ وما أهمية العقيدة في استقامة الفرد وصلاح المجتمع؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «وقَدْ فَرَض الله سُبْحَانهُ علَى القَلْب عَملاً من الاعْتِقَادَات وعَلى الجَوَارِح الظّاهِرَة عَملا مِن الطّاعَات، وَسَأُفَصِّلُ لكَ ما شرَطْتُ لك ذِكرَهُ باباً باباً لِيَقْرُبَ مِن فهم مُتَعَلِّمِيهِ إن شَاءَ الله تعالى، وإياه نستخير، وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا».

الفهم

الشرح:

اعتقادات : من اعتقد يعتقد اعتقادا أي صدق تصديقا جازما.

الجوارح : جمع جارحة وهي الأعضاء؛ فالعين جارحة واليد جارحة وهكذا.

استخلاص المضامين:

أستخرج من المتن ماذا فرض على القلب والجوارح.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: تعريف علم التوحيد وأهميته

1 - تعريف علم التوحيد

التوحيد لغة: هو العلم بأن الشيء واحد، وشرعا يسمى علم التوحيد، وعلم أصول الدين وعلم الكلام وهو: علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية. [المواقف لعضد الدين الإيجي 1 /31 بتصرف].

وهو علم يبحث في مسائل الاعتقاد كحدوث العالم للتوصل إلى معرفة وجود الله وما يجب له، وما يستحيل، وما يجوز من الصفات، وكذا ما يجب في حق الرسل وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم إلى غير ذلك من السمعيات: كالإيمان بالملائكة والكتب السماوية وأحوال المعاد مما سيؤول إليه أمر الثقلين من الشقاوة والسعادة والعذاب والنعيم، وكما يسمى علمَ التوحيد يسمى علمَ أصول الدين وعلمَ الكلام والفقهَ الأكبر. وهو من أشرف العلوم وأسماها.

2- أهمية علم التوحيد

لعلم التوحيد مكانة سامية؛ لأن الغاية منه معرفة وجود الباري تعالى واتصافه بجميع صفات

الكمال والجمال والجلال وللتوحيد أثر في استقامة الفرد وصلاح المجتمع الإنساني؛ لأن صلاح الأعمال رهين بحسن الاعتقاد، ولأن العقيدة هي الركن الركين والأساس المتين الذي يقوم عليه صرح الإسلام وبدونها لا تقام أركانه ولا يستوي نظامه؛ لذلك اهتم القرآن اهتماما بالغا بإصلاح العقيدة وترسيخ جذورها وتطهيرها من الأوهام والشبهات فالعقيدة الصحيحة هي التي تقدم للإنسان التفسير الصحيح للوجود الإنساني، والانحراف في العقيدة يترتب عليه فساد في السلوك الاجتماعي.

وقد أرشد الله سبحانه وتعالى كل مكلف بأن يوحده ويعلم بأن خالقه ورازقه واحد لا شريك له فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [سورة النحل الآية 51].

ثانيا: مفهوم العقيدة

العقيدة فعيلة بمعنى مفعولة أي معقودة، وتجمع على عقائد وهي: الأمور التي يجب على المكلف أن يصدق بها تصديقا جازما يطمئن به قلبه وترتاح إليه نفسه حتى تكون عنده يقينا لا يخالجه فيها شك ولا يتسرب إليه أدنى وهم كأن المؤمن أحكم ربطها وعقدها بقلبه حتى صارت عنده معقودة لا سبيل إلى حلها بأي طريق من طرق التشكيك.

والعقائد الدينية هي المنسوبة إلى الدين الذي ندين الله به وننقاد له، ويسمى أيضا ملة من حيث إن المَلَك يُمليه على الرسول وهو يمليه على الأمة، ويسمى شرعا وشريعة؛ لأن الله شرعه لنا، ويسمى صراطا مستقيما أيضا.

وقد تناول القرآن الكريم قضايا العقيدة وبين أصولها، وأثبتها وأرسى قواعدها فقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد 19]، وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء 25] وقال عز من قائل: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 132].

فأصول العقائد وتفاصيلها موجودة في القرآن الكريم، كما أن للسنة النبوية المطهرة نصيبها الوافر في تفصيل وتبين كثير من أمور العقيدة.

من مقاصد علم التوحيد: معرفة الخالق سبحانه بأسمائه وصفاته من خلال آياته التي نصبها في الأنفس والآفاق، وتربية المؤمن على إخلاص العبادة للبارئ سبحانه لتحصيل السعادة الدنيوية والأخروية بنيل رضوان الله ورحمته.

التقويم

1- أعرف علم التوحيد.

2- أذكر أسماء علم التوحيد، ولماذا تعددت أسماؤه.

3- أبين أهمية علم التوحيد.

4- ما منزلة علم التوحيد بين العلوم الدينية ؟

الاستثمار

قال القاضي عبد الوهاب: إن عقيدة الإمام أبى محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني –الملقب: بمالك الصغير– عقيدة واضحة المعالم، نيرة الأدلة، سليمة المباني، طيبة الأهداف والمعاني صدر بها كتابه الشهير المسمى: الرسالة التي وضعها باقتراح تلميذه الصالح الشيخ محرز بن خلف البكري. [شرح عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني للإمام القاضي عبد الوهاب ص: 7]

أتأمل النص وأنجز الآتي:

1- أذكر بعض مميزات الرسالة.

2- أذكر بعض شراح الرسالة.

الإعدادي القبلي

1- أحفظ من قول المصنف: «باب ما تنطق به الألسنة... إلى: ولا لآخريته انقضاء».

2- بماذا يؤمن القلب وينطق اللسان؟

الدرس
4

ما يجب اعتقاده بالقلب والنطق به

أهداف الدرس

1- أن أتعرف معنى الإيمان.

2- أن أستحضر وأتمثل ثمرة الإيمان في حياتي.

التمهيد

كان الناس قبل بعثة النبي ﷺ قد انحرفوا عن ملة أبيهم إبراهيم –عليه السلام– فكانوا يعبدون الأصنام والنجوم والنور والظلمة وغيرها من المخلوقات، ولهذا بعث الله خاتم النبيئين سيدنا محمدا ﷺ لتصحيح الاعتقادات الفاسدة ورد الناس إلى ملة التوحيد والعقيدة الصحيحة ملةِ أبيهم إبراهيم عليه السلام.

فما هو أساس دعوة النبي ﷺ؟ وماذا يجب على المسلم أن يعتقده؟

المتن

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ، مِنْ ذَلِكَ الإِيمَانُ بِالقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ: أَنَّ الله إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلاَ شَبِيهَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ وَلَدَ لَهُ، وَلاَ وَالِدَ لَهُ، وَلاَ صَاحِبَةَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلاَ لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ».

الفهم

الشرح :

إلـــهٌ : معبود من أَلَهَ- بفتح الهمزة واللام والهاء- بمعنى عُبِدَ فهو إله بمعنى مألوه أي معبود.

الأفئدة: جمع فؤاد وهو القلب.

نظــير: مثيل وَنِدٌّ.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن محل الإيمان، وبماذا يُعرف؟

2- أستخلص من المتن ما المقصود بالإيمان بالله.

3- ما معنى لا شبيه له ولا نظير؟

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: اعتقاد وحدانية اللّه تعالى

قال المصنف رحمه الله: «**مِنْ ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ: أَنَّ الله إِلَهٌ وَاحِدٌ**» مما يجب اعتقاده الإيمانُ بالقلب والنطق باللسان بأن الله إله واحد، والدليل على وحدانيته سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وأفعاله القرآنُ الكريم كقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة محمد الآية 20] وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة ابراهيم الآية 54]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة النحل الآية 51]. والسنةُ النبوية كقوله ﷺ: «لله عَزَّ وَجَلَّ تِسْعَةٌ وتِسْعونَ اسْماً مِائَةٌ إلاّ واحِداً لَا يَحفَظُها أَحَدٌ إلا دَخَلَ الجنة وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ» [صحيح البخاري كتاب الدعوات باب: لله مائة اسم غير واحد].

وقول المصنف رحمه الله: «**لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ**» تأكيد؛ لأنه لا فرق بينه وبين قوله: «**إِلَهٌ وَاحِدٌ**» وقيل: هذا أبلغ؛ لأنه يشعر بنفي إلهٍ غيرِه لوجود النفي والإثبات، فنفي الألوهية عن غيره بعد إثباتها له أبلغ في إثبات الواحدانية له سبحانه.

ثانيا: تنزيهه سبحانه عن جميع النقائص

1 - تنزيهه عن الشبيه والنظير

قال المصنف رحمه الله: «**وَلاَ شَبِيهَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَه**» مما يجب اعتقاده أن الله لا مثيل له ولا شبيه له في ذاته، ولا نظير له في صفاته قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى الآية11]. وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص الآية 4] بمعنى أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات ولا تتكيف بشيء من الكيفيات التي تعقلها الإدراكات، بل كل ما تتخيله الأفكار وتتعلق به الأنظار يتنزه عن مماثلة الواحد القهار.

2 - تنزيهه سبحانه عن الولد والوالد والصاحبة

قال المصنف رحمه الله تعالى: «**وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلاَ وَالِدَ لَه، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ**» مما يجب اعتقاده أن الله سبحانه منزه عن جميع النقائص فهو سبحانه جلّ في علاه القائل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص الآيات 3-4]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [سورة النساء الآية 170] وقال سبحانه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [سورة الجن الآية 3]. والصاحبة هي الزوجة، فالله منزه عن ذلك كله لمنافاته لمقام الألوهية الذي يقتضي الكمال الذاتي والغنى المطلق وهو سبحانه الغني عن كل ما سواه والمفتقر إليه كل ما عداه.

ثالثا: هو الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء سبحانه

قال المصنف رحمه الله: «**لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ**» معنى كلام المصنف أن الله سبحانه ليس وجوده مفتتحا فيكون له أولٌ، ولا منقضيا فيكون له آخِرٌ؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ [سورة الحديد الآية 3] أي السابق للأشياء بلا بداية، الباقي بعدها بلا نهاية؛

فهو الأول قبل كل شيء بلا بداية، والآخر بعد كل شيء بلا نهاية، روى البخاري عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَنتَ الْأَوَّلُ فَلَيسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ» [صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع]، ويستحيل في حقه سبحانه الحدوث والفناء.

يستفاد من الدرس أن الغاية من وجود الإنسان توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة التي هي حق له سبحانه على كل المخلوقات، واعتقاد أنه الواحد الأحد الفرد الصمد القادر على كل شيء، وتوجيه القصد إليه، واللجوءُ والاضطرار إليه سبحانه في قضاء الحوائج؛ لأنه حي قيوم بيده خزائن السماوات والأرض، وبذلك يتحرر الإنسان من كل القيود والأغلال التي تحول بينه وبين مولاه وخالقه.

التقويم

1- ما هو دليل الوحدانية من القرآن؟

2- أشرح قول المصنف: «وَلاَ شَبِيهَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ».

3- أفسر قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [سورة الحديد الآية 3].

الاستثمار

قال الصاوي رحمه الله في شرح جوهرة التوحيد: «الصفات السلبية مصطلح أطلقه علماء العقيدة الأشعرية على كل صفة سَلبت ونفت عن الله أمرا لا يليق به، وهي صفات كثيرة غير منحصرة، إلا أن العلماء ذكروا خمس صفات تسمى مهمات الأمهات؛ لكونها يلزم من نفي ضدها تنزيه الله تعالى عن جميع النقائص، وذلك مثل نفي الصاحبة والولد والوالد فإنه يدل على الوحدانية» [شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص 148].

أتأمل النص وأقوم بالآتي:

1- أبحث عن الصفات السلبية الخمس وأُعرفها وأبين سبب تسميتها.

2- أذكر أضداد الصفات السلبية الخمس وأستدل عليها من النقل والعقل.

3- ماذا تسلب صفتا القِدم والبقاء عن الله تعالى مما لا يليق به؟

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- بماذا تحصل معرفة الله تعالى؟

2- هل يمكن للمخلوق الإحاطة بعلم الله ؟ مع التعليل.

3- بماذا يعتبر المتفكرون هل بآيات الله تعالى أم بماهية ذاته ؟ مع الاستدلال.

الدرس 5

تنزيه الله تعالى عن إحاطة المخلوق بذاته وعلمه

أهداف الدرس

1- أن أتعرف معنى التنزيه والتقديس في حق الله تعالى.

2- أن أدرك أن الإحاطة بأمره سبحانه محال.

3- أن أتمثل عظمة الخالق بالتفكر في مخلوقاته تعالى.

التمهيد

ذهب أكثر الأشاعرة إلى أن أول واجب على المكلف هو معرفة الله تعالى، والمراد بمعرفة الله معرفةُ صفاته التي تدل عليها آياته سبحانه في الأنفس والآفاق مصداقا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت الآية 52]، وليس المراد بالمعرفة الواجبة معرفة حقيقة ذاته؛ لأن الحادث يقصر بالطبع عن عظيم هذا المقام.

فبماذا يعرف المؤمن ربه؟ وبماذا يعتبر المفكرون؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «لَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ، يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ».

الفهم

الشرح:

كُـنـه : كنه الشيء حقيقته.

يعتــبر: يتأمل ويتعظ.

مـائـيـة: بياء مشددة، وقد تبدل الهمزة هاء؛ أي حقيقة.

لا يؤوده: لا يثقله ولا يشق عليه.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن ما لا يمكن أن يبلغه الواصفون لله تعالى.

2- أستخلص من المتن بعض تجليات عظمة الله تعالى.

3- أستخلص من المتن عظمة علم الخالق سبحانه.

التحليل

يشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: استحالة إدراك حقيقة صفات اللّه تعالى.

قال المصنف رحمه الله: «**لاَ يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ**» إن معرفة الصفات الإلهية وإدراك حقائقها على ما هي عليه لا سبيل لنا إليها، ولم يُنصَب لنا دليل على ذلك؛ لأن العقول عاجزة عن إدراك حقيقتها، وللعقول حد ونهاية، فلا تحيط بغير المتناهي، فمن عرف ما وجب عليه وأقر بالعجز عما وراءه فقد اعترف بالحق لأهله ووضع الإنصاف في محله. فقول المصنف: «كُنْهَ» يحتمل أن المراد بالكنه الحقيقة أي لا يدرك حقيقة صفته الواصفون ويحتمل أن المراد بالكنه الغاية فيكون المعنى: لا غاية لصفاته حتى يصل إليها الواصفون. ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات الآية 180].

واقتصار المصنف على الصفة يدل على أننا إذا لم نصل إلى حقائق الصفات التي دلت عليها أفعاله، فعدم إدراكنا حقيقة ذاته تعالى التي دلت عليها صفاته من باب أولى ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [سورة طه الآية 107].

ثانيا: استحالة إحاطة المتفكرين بأمره

قال المصنف رحمه الله: «**ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته**» مما يجب اعتقاده أن الله تعالى لا يحيط بأمره وشأنه المتفكرون والمتأملون مهما حاولوا واجتهدوا؛ لقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة الرحمن الآية 29]، أي كل يوم هو سبحانه في شأن من الإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال والإفقار والإغناء، وغير ذلك من الشؤون الإلهية، ومعنى ذلك أن أهل الفكر والاعتبار لا ينتهون إلى الإحاطة بأمره الجاري في خلقه، ولا يصلون إلى الإحاطة بما هو من شأنه سبحانه، وإن بلغوا إلى العلم به فمن جهة الإثبات والتنزيه، لا من جهة الإحاطة والتكييف، فلو كُلِّف العبدُ بالإحاطة بذاته ما أطاقه. فهذا سمع الإنسان وبصره وعقله وروحه ووجوده وتصرفه لا يمكنه الإحاطة بها فكيف بأمر بارئه تعالى ربنا عز وجل عن أن يحيط به المتفكرون. ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

ثالثا: بعض تجليات عظمته سبحانه

ساق المصنف رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة الآية 254] الكرسي مخلوق عظيم من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، والعرش أعظم منه، والسموات والأرض في جنب الكرسي كحلقة مُلقاة في فَلاة من الأرض، والكرسي بالنسبة إلى العرش أيضا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله فأي ما أنزل الله عليك أعظم، قال آية الكرسي ثم قال: يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة» [صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان 3 /69].

ومعنى: «**وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا**» أي لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما وتدبير شأنهما بكمال قدرته وعموم تصرفه في كل شيء ابتداء ودواما فكل شيء قائم بالله. ومعنى: «**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**» العلي بالمنزلة المتعالى في ذاته وصفاته وأسمائه عن أن يحيط به وصف واصف، أو معرفة عارف، وهو العظيم: أي الكبير الشأن الرفيع النعت، الذي يصغر كل شيء عند ذكر عظمته.

التقويم

1 - أوضح وجه استحالة الإحاطة بكنه صفات الخالق مع الاستدلال على ذلك من القرآن.

2 - أبين ما يجوز وما لا يجوز من التفكر في أمر الله وشأنه.

3 - ما المراد بالكرسي في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؟

الاستثمار

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾. [سورة الغاشية الآيات 17- 18- 19 - 20]

وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

[سورة الأنعام الآية 104]

1- أتدبر الآيات الأُوَل وأتوقف فيها عند بعض مظاهر عظمة الله تعالى.

2- أتدبر الآية الثانية مستعينا بكتب التفسير وأربط آخرها بأولها.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأقوم بالآتي:

1- أستخرج ما تضمنه من أسماء الله الحسنى.

2- أبحث عن معنى هذه الأسماء بعد استخراجها.

الدرس 6

من أسماء الله الحسنى الدالة على صفاته

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض أسماء الله الحسنى ومدلولاتها.

2- أن أميز بين مدلولات هذه الأسماء.

3- أن أتخلق بمعاني أسماء الله الحسنى في حياتي.

التمهيد

العقول عاجزة عن التفكر في ذات الحق سبحانه وإدراك ماهيته، فلا تدركه العقول والأبصار، وقد أمر سبحانه بالتفكر في مخلوقاته للاستدلال بها عليه، وانعقد الإجماع على وجوب معرفته تعالى بأسمائه وصفاته الواردة في القرآن والسنة.

فما الأسماء المذكورة في المتن؟ وما دلالتها؟ وما الواجب علينا نحوها؟

المتن

قال المصنف رحمه الله تعالى: «الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، الْمُدَبِّرُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ».

الفهم

الشرح:

المدبر : التدبير هو: النظر في عواقب الأمور في حق البشر. وفي حق الله إبرامُ الأمر وتنفيذه وقضاؤه وفق إرادته وعلمه.

البصير: وهو صفة تتعلق بكل موجود على وجه الاتضاح.

العلي الكبير: العلي وصفه واستحقاقه لنعوت الجلال والكبرياء.

المجيد : مشتق من مجد واستمجد إذا زاد والمجد نهاية الشرف.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من النص ما تضمنه من أسماء الله الحسنى.

2- أستخرج من المتن مضمون قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾. [الحديد الآية 4]

التحليل

اشتمل الدرس على محورين:

أولا: من أسماء اللّه الحسنى

1- العالم: مشتق من العلم وهو صفة تنكشف بها جميع المعلومات الواجبات والجائزات والمستحيلات، ومن أسمائه كذلك العلام والعليم، ولا يسمى عارفا ولا فطنا ولا عاقلا ولا داريا؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية: فلا يسمى سبحانه إلا بما سمى به نفسه في القرآن الكريم، أو سماه به نبيه عليه الصلاة والسلام، أو انعقد عليه الإجماع.

2 - الخبير: العليم بخفايا الأمور التي لا يتوصل إليها غيره، كما أن الشهيد هو المطلع على ظواهرها، والعليم هو المطلع على ظواهرها وبواطنها.

3 – المدبر: لم يرد في الأسماء الحسنى بهذه الصيغة، وإنما ورد في القرآن فعله في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [سورة السجدة الآية 5]، وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [سورة يونس الآية 3]، وقوله سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [سورة الرعد الآية 2]، أي يقضي وحده سبحانه أمر خلقه في الدنيا بأرزاقهم وفي الآخرة بحسابهم. والتدبير في حق البشر هو النظر، وإعمال الفكر في عواقب الأمور؛ أي أدبارها لتوضع على الوجه الأصلح والأكمل، وأما في حقه تعالى فمعنى المدبر العالم بمآل الأمور وعواقبها وما خفي منها فيكون معنى التدبير إبرامَ الأمر وتنفيذه وقضاءه على غاية الإحكام والإتقان.

4 – القدير: وهو مشتق من القدرة وهي لغة: القوة [لسان العرب مادة قدر]. واصطلاحا: هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه على وفق الإرادة فلا تتعلق إلا بالممكنات، وهي عامة التعلق بجميع الممكنات قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة الآية 106]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [سورة الكهف الآية 45]. والقدير صيغة مبالغة من حيث كثرة متعلقات قدرته.

5 – السميع البصير: هما من أسمائه تعالى: والسمع والبصر صفتان ينكشف بهما الموجود على وجه يعلمه سبحانه، وكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه الصفات فيرى تعالى ويسمع الذوات والصفات، والجلي والخفي والإسرار والإعلان، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ﴾ [سورة الزخرف الآية 80] ؛ أي نسمعها، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى الآية 11]. فسمعه تعالى يتعلق بكل موجود كان ذلك الموجود قديما أو حادثا، كان شأنه أن يُسمع لنا أو لا، فذاته وصفاته وكذا ذواتنا وصفاتنا مسموعة له سبحانه بسمعه على وجه يعلمه هو.

6 – العلي الكبير: أي المتعالي عن أوصاف خلقه فلا يدرك كُنْهَ علوه وكبريائه غيرُه، فعُلوُّه وكبرياؤه معناهما المنزلة والمكانة والأوصاف المعنوية لا المكان ولا الأوصاف الحسية؛ فبصره لا بحدقة وأجفان، وسمعه لا بأصمخة وآذان، وكلامه لا بشفة لسان، وبطشه بغير جارحة، ويخلق

بغير آلة. يدبر بغير فكرة وترتيب، ولا يَحجب سمعَه بُعْدٌ، ولا يدفع رؤيتَه ظلامٌ؛ لأن هذه كلَّها من لوازم النقص، والحدوث، وصفاته تعالى لا نقص ولا حدوث فيها، فليس علوه سبحانه علوَّ جهة ولا اختصاص ببقعة، بل العلي وصفه وهو استحقاقه سبحانه لنعوت الجلال، والكبرياء نعته وهو استحقاقه لصفات الجمال. قال الله تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [سورة غافر الآية 12].

ثانيا: استواؤه سبحانه على عرشه ومعيته لخلقه

1 - استواؤه سبحانه على عرشه

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ**» معناه أن فوقيته تعالى على عرشه فوقية استيلاء وملك وغلبة وقهر؛ لأن المالك فوق المملوك، والخالق فوق المخلوق، ففوقيته راجعة إلى معنى الملك والقهر لا فوقية حسية لاستحالة ذلك عليه تعالى، فالتأويل واجب لقرينة استحالة المماثلة للحوادث والعرش مخلوق عظيم فوق السموات السبع، دل على وجوده الكتاب والسنة والإجماع، والمجيد صفة للعرش أي العظيم بذاته وفي ذاته قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة النمل الآية 26]، وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [سورة البروج الآية 15].

2 - معيته لخلقه سبحانه بعلمه

قال المصنف رحمه الله: «**وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ**» علمه تعالى محيط بجميع الكائنات في أمكنتها، فهو مطلع على جميع أحوالها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة الآية 7]، فقد دلت الآية على سعة علمه تعالى وإحاطته بكل شيء كثير أو قليل، عظيم أو حقير، فالله سبحانه تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وهو بكل شيء عليم.

ومعنى معيته تعالى بعلمه تَعلُّقُ العلم بكل شيء في محله لا المصاحبةُ بالذات في المكان لتنزيهه عنها، وقد تكون المعية في حقه تعالى بمعنى النصرة والحفظ، ولا يفهم من قوله: «وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ» الجهة؛ لأنه هو سبحانه منزه عن المكان، ولا يفهم منه أن علمه متجزئ مفارق لذاته بل هو صفة قديمة لا تفارق الذات، وإنما المراد أن علمه محيط بجميع الكائنات في أماكنها ومحيط بجميع الأمكنة.

من فوائد الدرس:

– وجوب مراقبة الله عز وجل؛ فمن عرف أنه سبحانه السميع البصير راقبه في الحركات والسكنات فلا يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره.

– حفظ أسماء الله الحسنى تعلقا بمقتضاها وسؤاله سبحانه بها تحقيقا لمقصد العبودية.

– تفويض العبد تدبير أموره إلى خالقه الذي يدبر الأمور فتطمئن نفسه.

– تقوية الإيمان والثقة بالله المؤديين إلى إخلاص العمل وصدق التوجه إليه سبحانه.

التقويم

1- أذكر معاني أسماء الله الحسنى الآتية: العالم – الخبير– السميع – البصير – المدبر.

2- أبين معنى قول المصنف: «وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ».

الاستثمار

عن ابن كثير رحمه الله في تفسير آية الكرسي: «هذه آية الكرسي ولها شأن عظيم قد صح الحديث عن رسول الله ﷺ بأنها أفضل آية في كتاب الله، روى الإمام أحمد، عن أبي– هو ابن كعب– أن النبي ﷺ سأله: «أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: الله ورسوله أعلم. فرددها مرارًا ثم قال أبى: آية الكرسي.

قال: «لِيَهْنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إن لها لسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش» [تفسير ابن كثير1 /672]

أقرأ آية الكرسي وأستخرج ما فيها من أسماء الله الحسنى وأقارن ذلك بما في الدرس.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأستخرج منه ما يدل على عظمة الله تعالى في كونه وفي علمه.

الدرس 7

إحاطة علمه سبحانه بكل شيء

أهداف الدرس

1- أن أتعرف مظاهر إحاطة علمه تعالى.

2- أن أدرك معاني الأشياء التي يحيط بها علمه سبحانه.

3- أن أستشعر علم الله بي وقربه مني في سلوكي.

التمهيد

تحصل لك مما سبق عِلمٌ بأن المتفكر العاقل يجب أن يعتبر بمخلوقات الله ولا يتفكر في ذاته، وقد أمر الله عباده بالتفكر في مخلوقاته ومنها الإنسان؛ للاستدلال بها على عظمته في ملكه وقدرته سبحانه على كل شيء يريده.

فما أبرز تلك المخلوقات التي يجب التفكر فيها؟ وما الغاية من ذلك؟ وما علاقة ذلك بعلم الله تعالى؟

المتن

قال المصنف رحمه الله تعالى: «خَلَقَ الْإِنْسانَ وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَى».

الفهم

الشرح:

توسوس به نفسه: ما يخطر بباله.

حبل الوريد : الوريد عرق بباطن العنق وهو الودج.

اســتــوى : استولى واعتلى.

احــتــوى : أحاط.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن مظاهر علم الله تعالى وقدرته.

2- أستخرج من المتن ما استأثر الله بعمله.

التحليل

اشتمل الدرس على ما يأتي:

أولا: خلق اللّه للإنسان وعلمُه بأحواله وقربه منه

1- خَلْقُ الانسان

قال المصنف رحمه الله: «**خَلَقَ الْإِنْسانَ**» من دلائل قدرة الله تعالى أنه خلق الانسان من تراب وأوجد جنسه ذكرا وأنثى، وقدره وصوره فأحسن صورته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [سورة الروم الآية 19] وقال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة التغابن الآية 3]. وهذا مما يجب اعتقاده.

2- علمه سبحانه بأحوال الإنسان

قال المصنف رحمه الله: «**وَيَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ**» علمه تعالى محيط بكل ما توسوس به نفس الإنسان وبكل ما يخطر بباله، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة ق الآية 16]، فالله سبحانه وتعالى عالم بما يكون قبل أن يكون، وعالم بجليل الأشياء وحقيرها وجليها وخفيها، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية 4]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [سورة غافر الآية 19].

3- قربه سبحانه من الإنسان

قال المصنف: «**وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**» الخالق سبحانه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد الذي هو أقرب الأشياء إلى الإنسان من وجوده لجريان النَّفَس فيه وبه، والقرب بمعنى شمول العلم والإرادة والقدرة في جميع الأحوال هو المراد هنا فهو قرب علم لا قرب مسافة؛ فهو تعالى أقرب إلى العبد من كل قريب، قال سبحانه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الواقعة الآية 88].

ثانيا: إحاطة علمه تعالى وقدرته

1- علمه تعالى بكل شيء

قال المصنف مقتبسا من القرآن الكريم: «**وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**» مما يجب اعتقاده أن الله سبحانه وتعالى يعلم أَيَّ ورقة تسقط من أي شجرة كانت في جميع أقطار الأرض، كما يعلم وجودَها ومسافة محلها، ومدة بقائها، وحركتها وسكونها، وحيزها وكيفيتها ومكان سقوطها، وكيف تسقط، ويتعلق علمه سبحانه بذلك قبل وجودها وحالة كونها وبعد وجودها.

وكما يعلم سبحانه ما على الأرض يعلم ما في ظلماتها، وظلماتُ الأرض طبقاتها، والرطبُ ما ينبت واليابس ما لا ينبت وقيل الرطب قلب المؤمن لتأثره بالخير، واليابس قلب الكافر لقساوته إلى غير ذلك من مظاهر علم الله المحيط بكل شيء مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأنعام الآية 60].

2- استواؤه تعالى على العرش واحتواؤه على الملك

قال المصنف رحمه الله: «**عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى**» مما يجب اعتقاده أنه سبحانه استوى على العرش؛ قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [سورة طه الآية 4]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف الآية 53]، وللاستواء في كلام العرب معان منها القهر والغلبة، ومنها انتهاء الشباب كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [سورة القصص الآية 13]، ومنها القيام كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [سورة الفتح الآية 29]، ومنها الاستقرار والتمكن كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [سورة هود الآية 44]، والاستواء في حقه تعالى من المتشابه كالوجه والعين واليد، وفي المتشابه مذهبان مشهوران:

الأول: وجوب تفويض معناه إلى الله تعالى بعد القطع بالتنزيه عن الظاهر المستحيل قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [سورة آل عمران الآية 7].

الثاني: جواز تأويل المتشابه وإخراجه عن ظاهره ورده إلى ما تقتضيه أدلة العقول مما يصح بدلالة سياق أو بكثرة استعمال العرب فالاستواء القهرُ والغلبة، قال أبو الحسن: وقيل الاستواء بمعنى العلو أي علو مرتبة ومكانة، لا علو مكان. [كفاية الطالب الرباني 1 /76].

قال المصنف رحمه الله: «**لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَى**» مما يجب اعتقاده أن الله تعالى له الأسماء الحسنى، وُصِفت الأسماء وهي جمع بالحسنى وهو مفرد؛ لأنه جمع في المعنى، والصحيح أن أسماءه تعالى غير محصورة في التسعة والتسعين الواردة في الحديث

والأصح أن أسماءه تعالى توقيفية فلا يسمى إلا بما سمى به نفسه أو سماه به نبيه ﷺ، قال الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ﴾ [سورة الأعراف الآية 180]، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. [سورة طه الآية 7]

من فوائد الدرس:

- استشعار إحاطة علم الله تعالى بما خفي وظهر يربي في الإنسان حس المراقبة والوقوف عند حدود الله تعالى.

- استحضار قدرته تعالى يغرس في نفس المؤمن شجرة التوكل التي تثمر الاستسلام للخالق والتفويض المطلق للقادر على كل شيء وبذلك يحقق المؤمن عبوديته لله تعالى.

التقويم

1- أبين مظاهر إحاطة علم الله تعالى.

2- أحلل قول المصنف: «عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ احْتَوَى».

3- أبرز أثر استشعار إحاطة علم الله بالإنسان في توجيه السلوك وتصحيحه.

الاستثمار

قال الشيخ أحمد زروق: «قال الإمام الغزالي: وبالجملة فالله تعالى محيط بكل شيء علما وفوق كل شيء علما، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات على العرش، كما أنه رفيع الدرجات على الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام» [شرح زروق على الرسالة لابن أبي زيد القيرواني1/ 30].

أتأمل النص وأقوم بالآتي:

1- أشرح هذا النص مقارنا له بما اكتسبته من الدرس.

2- أستدل بآيات قرآنية على ما ورد في النص من صفات الله تعالى.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عما يميز صفات الله تعالى.

الدرس 8

أزلية صفاته عزوجل وتكليمه موسى عليه السلام

الأهداف

1- أن أتعرف أن صفات الله وأسماءه أزلية قديمة.

2- أن أميز بين صفات الخالق الأزلية وصفات المخلوق المحدثة.

التمهيد

لما ذكر المصنف رحمه الله فيما سبق من الدروس بعض ما يجب اعتقاده في حق الله تعالى من التنزيه والتقديس، وما له من الصفات العلى والأسماء الحسنى، أراد أن ينبه على أن صفاته تعالى قديمة أزلية ليست حادثة، نافيا عنها كونها مخلوقة أو محدثة.

فما المقصود بأزلية صفات الله وأسمائه؟ وما معنى أن القرآن كلام قائم بذاته؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «لَمْ يَزَلْ بِجَميعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمائه، تَعالَى أَنْ تَكُونَ صِفاتُهُ مَخْلُوقَةً وَأَسْمَاؤُهُ مُحْدَثَةً، وَكَلَّمَ مُوسَى بِكَلامِه الّذي هُوَ صِفَةُ ذاته لاَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقه، وَتجَلّى لِلْجَبلِ فَصارَ دَكًّا مِنْ جَلاَلِهِ. وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ الْقَائِمُ بِذَاتِهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدَ، وَلاَ صِفَةً لِمَخْلُوقٍ فَيَنْفَدَ».

الفهم

الشرح:

لم يزل: نفي للنفي وهو إثبات دوام واستمرار.

دكـــا : مستويا مع الأرض غبارا.

فيبيد : يهلك ويذهب ويفنى.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخلص من المتن أن صفات الله تعالى وأسماءه ليست مخلوقة حادثة.

2- أستخرج من المتن ما خص الله به موسى عليه السلام.

3- أستخرج من المتن ما يدل على جلال الله وعظمته.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: أزلية صفاته تعالى وبقاؤها

قال المصنف: «**لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمائِهِ**» مما يجب اعتقاده أن له تعالى أسماءً حسنى وصفاتٍ عُلى، وأنه تعالى سمى نفسه بأسمائه الحسنى ووصف ذاته بصفاته العلى في الأزل فلم يزل مسمى بأسمائه ومتصفا بصفاته، وهو مذهب أهل السنة ومنهم الأشاعرة رحمهم الله، وأراد المصنف أن ينبه هنا على وجوب إثبات القدم لأسمائه وصفاته كما وجب القدم لذاته تعالى المستلزم لوجوب البقاء؛ فصفة القِدم تعنى أنه القديم بذاته وأسمائه وصفاته الذي لا أول لوجوده، وصفة البقاء تعني أنه الباقي بذاته وأسمائه وصفاته الذي لا نهاية لوجوده وبقائه، وهما من صفات السلوب التي تنفي وتسلب عن الله أمرا لا يليق به وهو الحدوث.

قال المصنف: «**تَعالَى أَنْ تَكُونَ صِفاتُهُ مَخْلُوقَةً وَأَسْمَاؤُهُ مُحْدَثَةً**» مما يجب اعتقاده تنزيهه تعالى عن كون صفاته مخلوقة، وأسمائه محدثة، بل أسماؤه وصفاته قديمة لاستحالة قيام الحوادث به؛ لأنها ثابتة في الأزل بكلامه القديم، فلا يصح أن تكون محدثة.

ثانيا: تكليم الله لموسى عليه السلام وتجليه للجبل

1- تكليم الله لموسى عليه السلام

قال المصنف رحمه الله: «**وَكَلَّمَ مُوسَى بِكَلامِهِ الَّذي هُوَ صِفَةُ ذاتِهِ**» مما يجب اعتقاده أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بكلامه القديم الذي هو صفة ذاته؛ أي وصف من أوصافه، فخلقَ له فهماً في قلبه يدرك به، وسمعاً في أذنيه يسمع به كلاما ليس بصوت ولا حرف يُسمع من كل جهة بكل جارحة، ولم تقع له رؤية عند الأكثر، واختَصَّ موسى عليه السلام باسم الكليم لكون تكليمه بلا واسطة الكتاب والمَلَك. وقول المصنف: «لاَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ» معناه أن موسى ما كلمه مخلوق وإنما كلمه الله، وقد قال تعالى:﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء الآية 163]. وأُكِّد الفعل بالمصدر لرفع المجاز وأن تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام حقيقة، وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى كلم موسى، واختلفوا في الكيفية فقال السلف: نؤمن بالكلام ولا نتعرض للكيفية؛ لأنه من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

1- تجليه سبحانه للجبل

قال المصنف رحمه الله: «**وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصارَ دَكًّا مِنْ جَلَالِهِ**» هذا مما ورد به القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [سورة الأعراف الآية 143]. وجاء هذا التجلي بعد سؤال موسى عليه السلام رؤية ربه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [سورة الأعراف الآية 143]. وذلك رجاء أن يمن الله عليه بالرؤية كما من عليه بالكلام؛ لأنه يحصل برؤيا العين من النعيم ما لا يحصل بالكلام. وقوله: «**وَتَجَلَّى**» أي ظهر من نوره من غير تكييف ولا تشبيه، وهذا الجبل هو طور سيناء، وهو المذكور أيضا في سورة التين، وقوله: «فَصارَ دَكًّا

مِنْ جَلَالِهِ» أي صار مستويا مع الأرض من جلال الله تعالى ورفعته وعلوه وكبريائه وعظمته.

ثالثا: القرآن كلام الله غير مخلوق ولا هو صفة لمخلوق

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ الْقَائِمُ بِذَاتِهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدَ، وَلاَ صِفَةً لِمَخْلُوقٍ فَيَنْفَدَ**» القرآن يطلق عند أهل أصول الفقه على اللفظ المنزل على النبي محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته، وعند علماء أصول الدين على المعنى القائم بذاته تعالى المنزه عن الحرف والصوت، وهو بهذا المعنى قديم ليس بمخلوق، وهو مذهب أهل السنة؛ لأنه لو كان مخلوقا لَبَادَ وفنِي كما تفنى الجواهر، ونفِد كما تنفَد الأعراض، فلهذا امتنع إطلاق القول بأن القرآن مخلوق.

من فوائد الدرس:

- تربية المؤمن على الإيمان بما جاء عن الله من الأمور المتشابهة وتسليمها وتفويض معناها وكيفيتها إلى مراد الله وعلمه سبحانه وتعالى، وهو الاعتقاد الذي كان عليه السلف الصالح، أو تأويلها بما يليق به عز وجل وفق قواعد التأويل الصحيح عند العلماء، وهو الاعتقاد الذي عليه الخلَف من الأشاعرة.

- الاعتبار والاتعاظ بجلال الله وعظمته وخشية الجبال من جلاله، والتعلق بأسمائه وصفاته وسؤاله بهما إقرارا له بالربوبية والألوهيه واعترافا بالضعف وعدم الحول والقوة.

التقويم

1- أبين أن أسماء الله وصفاته أزلية قديمة، مع التعليل والاستدلال بمتن الرسالة.

2- أحلل قول المصنف: «وَكَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذي هُوَ صِفَةُ ذاتِهِ».

3- أعرف القرآن وأستدل بآيات قرآنية على أنه غير مخلوق.

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[سورة الحشر الآيات: 21- 22- 23]

- أستخرج من الآيات ما تضمنته من الأسماء الحسنى مبرزا معانيها.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن:

1- أركان الإيمان.

2- معنى الإيمان بالقضاء والقدر.

الدرس 9

الإيمان بالقضاء والقدر

الأهداف

1- أن أتعرف معنى القضاء والقدر.

2- أن أميز بين القضاء والقدر.

3- أن أتمثل أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياتي.

التمهيد

تحدث للإنسان في حياته أمور لم يكن يتوقعها، ولم تكن معلومة لديه قبل حدوثها، وتفوته أمور كان ينتظر حدوثها؛ فالمؤمن يتعامل مع ما حدث وما فات بالرضا والإذعان والتسليم؛ لأنه يؤمن بأن الله قد كتب ما كان وما يكون وما هو كائن وقضى بذلك وقدره في الأزل، وغير المؤمن يجزع ولا يرضى، ولا يكون مع ذلك إلا ما قضاه الله وقدره.

فما هو القضاء؟ وما هو القدر؟ وما أثر الإيمان بهما في حياة المسلم؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «وَالْإِيمانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ رَبُّنا، وَمَقادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُها عَنْ قَضائِهِ، عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ فَجَرَى عَلَى قَدرِهِ».

الفهم

الشرح:

القدر : التقدير

القضاء : لغة يطلق على عدة معان منها: الحكم والإيجاب والخلق والتقدير والتمام.

مصدر : محل الصدور والحدوث والوقوع.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن تعامل المؤمن مع القدر.

2- أستخلص من المتن من أين تصدر الأمور؟ وكيف تجرى؟

التحليل

أولا: الايمان بالقضاء والقدر

1- تعريف القضاء والقدر:

أ- القضاء لغة: له عدة معان منها التمام والحكم والخلق والتقدير [لسان العرب مادة: قضى] واصطلاحا هو: إرادة الله الأشياءَ في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال، فهو من صفات الذات.

ب- القدر لغة: القضاء والحكم وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور [لسان العرب مادة: قدر] واصطلاحا هو: إيجاد الله الأشياءَ على قدر مخصوص وتقدير معين أراده الله في ذواتها وأحوالها وَفْق ما سبق به علم الله تعالى، فيرجع لصفات الفعل؛ لأنه عبارة عن الإيجاد، وهو من صفات الأفعال.

2 – الإيمان بالقضاء والقدر

قال المصنف رحمه الله: «**وَالْإِيمانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ رَبُّنا**»

قال ابن منظور: القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه [لسان العرب مادة قدر] فالإيمان بالقدر يعني الإيمان بأن القدر جار بالخير وهو ما فيه نفع، وبالشر وهو ما فيه ضر، وبالحلو وهو ما فيه لذة، وبالمر وهو ما فيه تألم.

والإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان الستة لا يصح الإيمان بدونه، والضمائر في خيره وشره وحلوه ومره عائدة على القدر، فيجب الاعتقاد والتصديق بعموم إرادة الله تعالى لجميع الممكنات خيرا كانت أم شرا، حلوا كانت أم مرا، وقد فسر العلماء الخير بالطاعات، والحلوَ بلذتها وثوابها، والشرَّ بالمعصية، والمُرَّ بمشقتها وعقابها.

ثانيا: مقادير الأمور ومصادرها بيده سبحانه

1 – مقادير الأمور بيد الله تعالى:

قال المصنف رحمه الله: «**وَمَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ**» مقادير الأمور، أي بداية الأمور بيده تعالى، فكل الحوادث بإرادة الله ومشيئته وقضائه وقدره خيرا كانت أو شرا، طاعة كانت أو معصية، لكن الطاعة بقضائه وقدره ومحبته ورضاه وأمره، والمعصية بإرادته وقضائه وقدره؛ إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد، ولا يمكن أن يُعْصى كرها، ويترتب العقاب على المعصية- مع جواز العفو-؛ لأن العاصي مخالف لأمر الله وإن وافق إرادته.

2 – صدور الأشياء عن قضاء الله تعالى:

قال المصنف رحمه الله: «**وَمَصْدَرُها عَنْ قَضائِهِ**» مصدر الأمور أي صدورها ووقوعها عن قضائه، وقدره وحكمه وإرادته، فكل شيء بقضاء الله وقدره؛ أي بتقديره على شكل دون شكل، ووقت دون وقت، وزمان دون زمان، ومكان دون مكان.

3 – علاقة العلم بالقدر:

قال المصنف رحمه الله: «**عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ فَجَرَى عَلَى قَدرِهِ**» مما يجب اعتقاده أن

الله سبحانه علم كل شيء من الممكنات قبل كونه أي وقوعه، فجرى ووقع على قدره، أي على حسب علمه، فعلمه سابق للمعلومات فما علم أنه يكون أراده وما لا فلا.

4 – وجوب الرضا بالقضاء والقدر:

يجب الإيمان بالقضاء والقدر، ويكون الرضا بهما واجبا أيضا؛ لحديث جبريل أن النبي ﷺ قال: «وَأَن تُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». [صحيح مسلم كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ]

والقضاء والقدر من حيث هما قضاء الله وقدره يجب الرضا بهما قطعا على كل مكلف، وإذا كان قضاء الله تعالى وقدره عند الكثيرين عبارة عن التعلق التنجيزي لإرادة الله تعالى وقدرته بالممكن، فمعنى الرضا بهما ترك المنازعة والاعتراض، واعتقاد ثبوت الحكمة والعدل.

من فوائد الدرس: تطهير النفس وتزكيتها بالاستسلام لبارئها في كل ما قضاه لها وقدره عليها خيرا أو شرا، وتفويض الأمور إليه سبحانه ثقة فيما عنده، وذلك عين العبودية وكمال الحرية فيتحرر الإنسان من تدبير نفسه، ويفوض أموره إلى من بيده مقادير الأمور وعنه صدورها، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو القائل سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة التكوير الآية 29].

التقويم

1- أعرف القضاء والقدر لغة واصطلاحا.

2- أحلل قول المصنف: «**وَمَقادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ وَمَصْدَرُها عَنْ قَضائِهِ**».

3- أبين علاقة القدر بالعلم.

الاستثمار

روى جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يكُنْ لِيُخْطِئَه، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ».

[سنن الترمذي باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره]

– أبين من خلال الحديث علاقة القدر بالإيمان هل هو كمالي أم أساسي؟

الاستثمار

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن مدلولات المفاهيم التالية:

الهداية – الضلال – التوفيق – الخذلان.

الدرس 10

الهداية والإضلال مما سبق به علم اللطيف الخبير

الأهداف

1- أن أتعرف أن ما يصدر عن الخلق هو بعلم الله وقضائه.

2- أن أميز بين قضائه تعالى وبين مشيئته.

3- أن أدرك أن التوفيق والخذلان من الله.

التمهيد

مرَّ بنا في درس القضاء والقدر أن جميع المقادير بيد الله تعالى، وأن أفعال العباد صادرة عن قضاء الله وقدره وعلمه ولا دخل لهم في خلق أفعالهم، يعلم أحوال عباده وجزئيات أقوالهم وأفعالهم لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض سبحانه وتعالى، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويوفق لطاعته من يشاء بفضله، ويخذل من يشاء بعدله.

فما معنى الهداية والتوفيق؟ وما المراد بالضلال والخذلان؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «لاَ يَكونُ مِنْ عِبادِهِ قَوْلٌ وَلاَ عَمَلٌ إلَّا وَقَدْ قَضاهُ وسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ، أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ وَيَهْدِي مَن يَشاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ».

الفهم

الشرح:

قضاء الله: إرادته وحكمه.

اللـطـيـف: من أسمائه تعالى يطلق على عدة معان: الحليم العليم المنعم المحسن.

يـــخـــذل : يضل ويترك نصرته.

يـــهـــدي : يرشد ويوفق ويبين.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن أن أقوال العباد وأعمالهم صادرة عن علم الله وقضائه.

2- أستخلص من المتن أن الهداية والإضلال بيد الله تعالى.

التحليل

اشتمل الدرس على ما يأتي:

أولا: أقوال العباد وأعمالهم صادرة عن قضاء اللّه وعلمه

قال المصنف رحمه الله: «**لاَ يَكونُ مِنْ عِبادِهِ قَوْلٌ وَلاَ عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضاهُ وسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ**» مما يجب اعتقاده أن الله تعالى علم كل شيء قبل وقوعه فجرى على حسب علمه، وذلك قول المصنف في الدرس السابق: «عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ»، هذا هو الحق الذي يجب اعتقاده. وكما يعلم سبحانه كل شيء قبل وقوعه ويجري على حسب علمه فإنه تعالى يعلم الأشياء على الجملة والتفصيل، ويعلم الكلي والجزئي، فلا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق به علمه كما قال المصنف، ومعنى هذا أن كل عمل وقول صدر من عباده قد تعلقت إرادته به؛ لأن القضاء إرادة الله المتعلقة أزلا بكل ما سيكون.

وقول المصنف رحمه الله: «**وسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ**» معناه هو عين معنى قوله: «عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ» وكرره تأكيدا له وإشارة إلى صفة من الصفات التي يجب اعتقادها في حق

الله تعالى، وهي صفة العلم التي هي صفة أزلية قائمة بذات الواجب الوجود، ينكشف بها كل معلوم على ما هو به، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سورة الحديد الآية 4]، وقال عز وجل: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة التغابن الآية 4]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الشورى الآية 10]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [سورة الطلاق الآية 12].

ثانيا: من أسمائه تعالى اللطيف

قال المصنف رحمه الله: «**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**» استدل المصنف على إحاطة علمه تعالى بكل شيء بهذه الآية الخامسة عشرة من سورة الملك التي جاءت في سياق الآية قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة الملك الآية 14]، فالسر مخلوق، ولا يصدر المخلوق من غير أن يعلمه الخالق. وهو اللطيف الخبير، واللطيف من أسمائه الحسنى أي العالمُ بخفيات الأمور وغوامضها ومشكلاتها.

ثالثا: الإضلال والهداية بيده سبحانه

قال المصنف رحمه الله: «**يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ فَيَخْذُلُهُ بِعَدْلِهِ وَيَهْدِي مَن يَشاءُ فَيُوَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ**» هذا الكلام من معنى ما قبله، وهو أن كل شيء من الله تعالى، وهو كقوله عز وجل: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الأنعام الآية 40]، وقد تقدم نحو هذا الكلام في قول المصنف: «فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ»، ولا خلاف بين المسلمين وسلف الأمة المهتدين أن الله سبحانه وتعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه لا يهتدى أحد إلا بهدايته ولا يَضل أحد إلا بإضلاله، ويدل على ذلك ورود آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة ابراهيم الآية 29]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة فاطر الآية 8]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [سورة الكهف الآية 17] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾ [سورة الزمر الآية 37].

من فوائد الدرس: تربية المؤمن على التفويض والاستسلام لقضاء الله وقدره، ومراقبة مولاه الذي يعلم حركاته وسكناته وكل أحواله، وأن ما يصدر من الإنسان من خير فهو فضل من الله وتوفيق يجب شكره عليه. قال ابن عطاء الله: «إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي، وإن ظهرت المساوئ مني فبعدلك ولك الحجة علي». [الحكم لابن عطاء الله الإسكندري ص: 163].

التقويم

1- أبين معنى قول المصنف: «لاَ يَكونُ مِنْ عِبادِهِ قَوْلٌ وَلاَ عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضاهُ».

2- أذكر أدلة على أن علم الله تعالى محيط بكل شيء حتى الجزئيات.

3- أذكر أدلة أخرى من القرآن على أن الهداية والإضلال بيد الله تعالى.

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأنعام الآية 60]

أقرأ الآية الكريمة بترتيل وتدبر وأقوم بالآتي:

1- أبحث عن مفاتح الغيب في سورة لقمان وأبين دلالتها على إحاطة علم الله تعالى.

2- أبحث في كتب التفسير عن تفسير قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأستخرج منه تجليات قضاء الله وقدره في الكون.

الدرس 11

القول في المشيئة والسعادة والشقاء

الأهداف

1- أن أتعرف الاعتقاد الصحيح في المشيئة والسعادة والشقاء.

2- أن أتعرف أسباب الشقاء والسعادة.

3- أن أسلك أسباب السعادة وأتمثلها وأتجنب أسباب الشقاء في حياتي.

التمهيد

نرى ونشاهد بعض الناس يرتكبون المنهيات والمخالفات، ويضيعون الطاعات، ولكن سرعان ما تتبدل أحوالهم فيشتغلون بالخيرات ويعودون إلى أعمال البر والإحسان.

فما سبب ذلك؟ وعلى ماذا يدل تحول الإنسان من المعاصي إلى الطاعات؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ بِتَيْسيرِهِ إِلى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِه وَقَدَرِه مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعيدٍ، تَعالَى أَنْ يَكونَ في مُلْكِهِ ما لاَ يُريدُ، أَوْ يَكونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى أَوْ يَكون خالِقٌ لِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ».

الفهم

الشرح :

شقي: الشقاوة المَضرةُ اللاحقة في العقبى.

سعيد: السعادة المنفعة اللاحقة في العقبى والسعيد هو المسلم.

غني : الاستغناء عدم الاحتياج.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن أن العباد ميسرون إلى السعادة أو الشقاء.

2- أستخلص من المتن أن ملك الله لا يكون فيه ما لا يريده.

3- أستخرج من المتن افتقار الإنسان إلى ربه.

التحليل

اشتمل الدرس على ما يأتي:

أولا: تيسير العباد إلى السعادة أو الشقاء

قال المصنف رحمه الله: «**فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ بِتَيْسِيرِهِ إِلى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعيد**» مما يجب اعتقاده أن كل إنسان ميسر ومهيأ ومسوق بتيسير الله إلى الشيء الذي سبق له من علم الله وقدره في الأزل؛ فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» [صحيح لبخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ولقد يسرنا القرآن للذكر]. أي أن كل إنسان مسير إلى فعل ما سبق له في علم الله وقدره من شقاوة أو سعادة بفعل ما يوصل إليهما. ومعنى قول المصنف: «**مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ**» أي إرادته، فالمراد بالعلم والقدر المعلومات والمرادات. وقوله: «**مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعيدٍ**» أي أن كل أحد من الأشقياء والسعداء مهيأ لفعل ما تعلقت به إرادة الله وعلمه في الأزل.

ولا يجري على العباد إلا ما سبق به علمه تعالى وقدره سبحانه، أسعَدَ من شاء لا بوسيلة سبقت، وأبعد من شاء لا بجريمة تقدمت، قال سبحانه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [سورة الأنبياء 23]، وقال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد الآية 40]، يعني من المكتوب على عباده؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» [صحيح البخاري كتاب الحيض باب: مخلقة وغير مخلقة] معنى الحديث أن الرزق والأجل والعمل والشقاوة والسعادة مما سبق به الكتاب، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة التكوير الآية 29].

ثانيا: إرادة الله عز وجل شاملة لكل ما في الكون

قال المصنف رحمه الله: «تَعالَى أَنْ يَكونَ في مُلْكِهِ ما لاَ يُريدُ، أَوْ يَكونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى أَوْ يَكونَ خالِقٌ لِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ» قال القاضي عبد الوهاب في شرح الرسالة: هذا الذي ذكره المؤلف هو مذهب أئمة السنة وسلف الأمة أن الله عز وجل مريد لكل ما وقع في سلطانه.

ومعنى قول المصنف رحمه الله : «تَعالَى» أي تنزه وتقدس عن أن يكون في ملكه ما لا يريد؛ لأنه لو دخل في الوجود ما لا يريد للزم العجز والوهن والقهر كيف وقد قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة الأنعام الآية 62]. فالله تعالى مريد لجميع ما وقع في سلطانه، لكن الطاعات بإرادته ومحبته ورضاه وأمره، والمعاصي بإرادته دون محبته ورضاه وأمره، والرضا والمحبة مترادفان كما أن الإرادة والمشيئة مترادفان.

قال المصنف رحمه الله: «**أَوْ يَكونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى**» مما يجب اعتقاده أن الله تعالى غني عن كل ما سواه مفتقر إليه كل ما عداه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر الآية 15]، فكل مخلوق مفتقر لخالقه ابتداء ودواما؛ لأنه تعالى غني عن العالمين، والغنى المطلق هو: قيامه تعالى بنفسه واستغناؤه تعالى عن المحل وعن المخصص وعن الولد والوالد والمعين وغير ذلك.

قال المصنف رحمه الله: «**أَوْ يَكونَ خالِقٌ لِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ**» هذا معطوف على ما قبله؛ أي لا يكون في الكون إلا ما أراد الله؛ لأنه فعال لما يريد، ولا غِنَى لأحد عنه؛ لأن أمر الدنيا والآخرة بيده، ولا خالق لشيء سواه، بل هو خالق الذوات والصفات والأفعال، قال تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام الآية 103]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة فاطر الآية 3]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل الآية 17].

من فوائد الدرس:

- تطهير النفس من الحول والقوة وتربيتها على التسليم لله الفعال لما يريد، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛
- تربية النفس على الاعتقاد الجازم بأن أمر الرزق والأجل مفروغ منه فلا ينال الإنسان من الرزق إلا ما كتب له من ذلك؛
- تحرير الإنسان من الخوف من المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه؛
- تربية المؤمن على سلوك أسباب السعادة وعدم الاغترار بالعمل فالأعمال بخواتمها؛

التقويم

1- أبين معنى قول المصنف: «فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ بِتَيْسيرِهِ إِلى ما سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ» مع الاستدلال.

2- هل في إمكان الإنسان إسعاد نفسه أو إشقاؤها؟ مع التعليل والاستدلال.

3- أوضح معنى الإرادة وشمولها لكل شيء مع الاستدلال من النقل والعقل.

الاستثمار

قال اللقاني رحمه الله في جوهرة التوحيد:

فخالق لعبده وما عـــمـــل *** موفق لمن أراد أن يصـــل

وخاذل لـمـن أراد بـعـده *** ومـنجز لمن أراد وعـــده

فوز السعيـد عنده في الأزل *** كـذا الشـقي ثم لم ينتقـل

وعـندنا للعـبد كسـب كلفا *** ولـم يكن مؤثرا فلتعرفـــا

فليس مجبورا ولا اخـتيـارا *** وليس كلا يفعل اخـتيـــارا

[جوهرة التوحيد. بشرح هداية المريد للمؤلف ص: 162]

أتأمل الأبيات وأقوم بالآتي:

1- أبين ما يتعلق بأعمال العباد اعتقادا وأقارن ذلك بما في الدرس.

2- أستخرج من الأبيات رأي الأشاعرة في مسألة خلق الأفعال والكسب وأبحث عن أدلتهم.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأجيب عن الآتي:

1- ما معنى رب العباد؟

2- من الذي يقدر الأجل؟

3- أبحث عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

[سورة يونس الآية 49].

الدرس 12

ربوبيته تعالى للعالمين وبعثته للرسل إليهم

الأهداف

1- أن أتعرف معنى الربوبية ومقتضياتها.

2- أن أدرك معنى الجائز في حق الله تعالى.

3- أن أتعرف بعثة الرسل والغاية منها.

التمهيد

مما يجب اعتقاده أن الله تعالى فعال لما يريد، وهو الخالق للعباد وأفعالهم والمتصرف في شؤون خلقه كلها من أرزاق وآجال وسعادة وشقاء وأن كل ما يجري من حركات وسكنات هو من تقديره عز وجل وفق ما سبق به علمه.

فما معنى خلق أعمال العباد؟ وما المقصود بتقدير الآجال؟ وما الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام؟

المتن

قال المصنف رحمه الله تعالى: «رَبُّ الْعِبادِ ورَبُّ أَعْمالِهِمْ وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكاتِهِمْ وآجالِهِمْ الْباعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ لِإِقامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ».

الفهم

الشرح :

رب : الخالق المالك السيد القائم المصلح.

آجال : جمع أجل وهو المدة والوقت.

باعث : مرسل.

الحجة: البرهان.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن تجليات الربوبية

2- أستخلص من المتن الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام.

التحليل

اشتمل الدرس على ما يأتي:

أولا: تجليات ربوبيته تعالى

1 - ربوبيته تعالى للعباد وأعمالهم:

قال المصنف رحمه الله: «**رَبُّ الْعِبادِ ورَبُّ أَعْمالِهِمْ**» مما يجب اعتقاده أن الله تعالى ربُّ العباد؛ أي الخالق لهم، والمربي القيوم على شؤونهم، والملك الحاكم على جميع المخلوقات من بني آدم وغيرهم من الجن والملائكة. وقول المصنف: «**ورَبُّ أَعْمالِهِمْ**» أي مربي أجسام العباد وأبدانهم وذواتهم وأفعالهم؛ إذ لا فرق بين الذوات والأفعال، فكما لا قدرة لأحد على خلق أدنى الذوات، فكذلك أفعال العباد لا قدرة لأحد على خلق أدنى شيء منها؛ فهو سبحانه كما خلق العباد خلق أعمالهم وجميع ما يصدر منهم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات الآية 96].

2 - تقديره تعالى حركات العباد:

قال المصنف رحمه الله: «**وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وآجالِهِمْ**» مما يجب اعتقاده أن الله تعالى هو المقدِّر والمحدِّد والمعيِّن لجميع حركات العباد، وسكت المصنف عن السَّكَنات؛ لأن الحركات أظهرُ منها في الوجود، ولأن الثواب والعقاب إنما يترتب عن الحركات غالبا، والحركات داخلة في معنى قول المصنف: «ورَبُّ أَعْمالِهِمْ»، فأعمال العباد خلقا وإبداعا من الله تعالى، وكسبا ومقارنة من العبد لقدرته تعالى، والكسب: مقارنة المقدور للقدرة الحادثة وليس العبد مُحدثا لأفعاله ولا موجِدا لها.

فالله تعالى هو الفاعل المختار وهو الخلاق العليم، وهو رب العباد ومربيهم وخالق كل شيء، ومع كونه سبحانه المنفردَ بخلق كل شيء فإنه ينسب العمل لعبده ويثيبه عليه تكرما وتفضلا منه سبحانه فيقول: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

3 - تقديره تعالى آجال العباد:

قال المصنف رحمه الله: «**وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وآجالِهِمْ**» الآجال جمع أجل وهو مدة الشيء ووقته، والمقصود بالأجل الموت الذي هو مصير كل مخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [سورة نوح الآية 4] وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة يونس الآية 49]، وقال سبحانه: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [سورة المنافقون الآية 11]، ومذهب أهل الحق أن الآجال والأرزاق مقدرة لا يتبدل ما في علم الله منها. وعليه فكل ميت لسبب من الأسباب لم يمت إلا بأجله المقدر له وعمره المؤقت الذي سبق في المعلوم أنه لا يبقى زيادة عليه، وأجل الموت وقته الذي يحصل فيه، كما أن أجل الدَّين وقتُ حلوله واستحقاقُ أدائه.

ثانيا: بعثة الرسل إلى العباد والغاية منها

1 - بعثة الرسل عليهم السلام:

قال المصنف رحمه الله: «**الْباعِثُ الرُّسُل إِلَيْهِمْ**» الباعث هو الموجِّه والمرسل، يقال: بعثت الرجل أي وجهته وأرسلته في أمر، والرسل جمع رسول، والرسول إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه فإن لم يؤمر بالتبليغ فنبي فقط، والنبي من جاء مجددا لشريعة غيره كيوشع بن نون مثلا.

ولما فرغ المصنف رحمه الله من الكلام على الواجبات في حقه تعالى مما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة، شرع يتكلم على بعض ما يجوز في حقه تعالى وهو بعثة الرسل عليهم السلام إلى عباده لتعليمهم وتوجيه أفعالهم، ومذهب أهل الحق أن بعثة الانبياء والرسل من الجائز الواجب اعتقاد وقوعه، فأولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ.

2 - الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام:

قال المصنف رحمه الله: «**لِإِقامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ**» لإرسال الرسل غايات جليلة وفوائد عظيمة؛ منها البشارة والنذارة، وتعليم الاعتقادات والعبادات، وبيان وجوب امتثال الأوامر واجتناب النواهي، والإرشاد إلى التخلق بالأخلاق الحسنة وغير ذلك من مصالح الدين والدنيا. فقول المصنف: «لِإِقامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ» أي لتقوم حجة الله على عباده؛ فإنه تعالى بمحض فضله لا يعذب أحدا حتى يخالف أمره ونهيه، ولا يُعرَفُ أمره ونهيه إلا من قِبَلِ الرسل، فإنهم إنما بُعثوا لبيان حقوق الله على عباده فلا تقوم الحجة على العباد إلا بعد بيان ذلك لهم، وبالبيان ينقطع عذرهم بأن يقولوا: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾ [سورة المائدة الآية 21]. فلما بعث الله الرسل عليهم السلام وبينوا للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدين والدنيا فاز مَن قبل دعوة الرسل وهلك من لم يقبل، ولم تبق له حجة ولا عذر.

من فوائد الدرس:

– تطهير النفس وتزكيتها من كل أشكال الحول والقوة؛ إذ رب الكون سبحانه قدر جميع الحركات والسكنات والأرزاق والآجال، ولا يكون إلا ما قدره الله.

– من فضل الله ومنته على عباده إرسال الرسل إليهم لإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

– وجوب الإيمان بجميع الرسل وإجلال مقامهم؛ إذ ذلك حق من حقوقهم.

التقويم

1- أبين معنى قول المصنف: «رَبُّ الْعِبادِ ورَبُّ أَعْمالِهِمْ».

2- هل يمكن موت الإنسان قبل أجله؟ مع التعليل والاستدلال.

3- أُعرِّف النبي والرسول، وأبين الفرق بينهما.

4- ما غاية إرسال الرسل إلى العباد؟

الاستثمار

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف الآية 53]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة النحل الآية 36].

أقرأ الآيتين بتدبر وأقوم بالآتي:

1- استخرج من الآية الأولى تجليات ربوبيته تعالى.

2- أستخرج من الآية الثانية الغاية من بعثة الرسل وأثر ذلك.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأنجز الآتي:

1- أبحث عن مميزات رسالة سيدنا محمد ﷺ.

2- أبحث عن معنى الحكيم في قول المصنف: «وأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتابَهُ الْحَكيمَ».

الدرس 13

رسالة سيدنا محمد ﷺ خاتمة الرسالات السماوية

الأهداف

1- أن أتعرف صفات خاتم الأنبياء والمرسلين.

2- أن أدرك الغاية من إرسال سيدنا محمد ﷺ.

3- أن أتمثل أخلاق النبي ﷺ في حياتي.

التمهيد

انفرد الله سبحانه وتعالى بالخلق والإيجاد، والرزق والإمداد لجميع مخلوقاته، كلف عباده بطاعته، وامتن عليهم بإرسال الرسل إليهم فضلا منه ومنة ليبينوا لهم حقوق ربهم عليهم، وختم الرسالات برسالة سيدنا محمد ﷺ.

فما الغاية من إرسال سيدنا محمد ﷺ؟ وبماذا تميزت رسالة سيدنا محمد ﷺ؟

المتن

قال ابن أبي زيد رحمه الله: «ثُمَّ خَتَمَ الرِّسالَةَ وَالنِّذارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمحَمَّدٍ ﷺ فَجَعَلَهُ آخِرَ المُرْسَلينَ بَشيرًا وَنَذيرًا، وداعِيًا إلى اللهِ بِإِذْنِهِ وسِراجًا مُنيرًا، وأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتابَهُ الْحَكيمَ وشَرَحَ بِهِ دينَهُ الْقَويمَ وهَدى بِهِ الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ».

الفهم

الشرح:

النذارة : التحذير والتخويف.

النبوة : من النبأ وهو الخبر أو من النَّبْوة وهي الرِّفعة.

سراجا : مصباحا ومصدر نور.

شرح : أفهم.

الصراط المستقيم: الطريق القويم والسبيل السوي.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن ما تميزت به رسالة سيدنا محمد ﷺ.

2- أستخلص من المتن المعجزة الخالدة للنبي ﷺ.

3- أستخرج من المتن وظيفة الرسل ومنهم سيدنا محمد ﷺ.

التحليل

اشتمل الدرس على ما يأتي:

أولا: رسالة سيدنا محمد خاتمة الرسالات السماوية

قال المصنف رحمه الله: «**ثُمَّ خَتَمَ الرِّسالَةَ وَالنِّذارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمحَمَّدٍ ﷺ فَجَعَلَهُ آخِرَ المُرْسَلينَ**» ذكر المصنف رحمه الله في الدرس السابق أنه تعالى بعث الرسل ليبلغوا عباده الأحكامَ وأنه قطع بذلك عذرهم، وأخبر هنا أنه تعالى أتم الرسالة وختمها بمحمد ﷺ، فلا يقوم مقامه فيها أحد. فقوله رحمه الله: «**خَتَمَ**» من الختم بمعنى الإتمام كقولك ختمت القرآن؛ أي أتممته.

ويدل على أن رسالة سيدنا محمد ﷺ خاتمة الرسالات السماوية الكتابُ والسنةُ والإجماعُ؛ فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة الاحزاب الآية 40]. ومن السنة قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «أَنتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ مِن بَعْدِي» [صحيح مسلم فضائل الصحابة باب فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه]. وانعقد الإجماع على ذلك، واقتصر المصنف على النذارة التي هي التحذير من السوء ولم ينص على البشارة اكتفاءً بأحد المتقابلين عن الآخر؛ لأنه يستلزمه، وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [سورة المدثر الآية 1].

وقول المصنف رحمه الله: «**فَجَعَلَهُ آخِرَ المُرْسَلينَ**» تفسير لقوله: «**خَتَمَ الرِّسالَةَ**» وقوله: «بَشيرًا» أي بالثواب لمن أطاع وبالجنة لمن آمن، وقوله: «وَنَذيرًا» أي بالعقاب لمن عصى وبالنار لمن كفر، وقوله: «**وداعِيًا إِلى اللهِ بِإِذْنِهِ**» أي وداعيا إلى الإقرار بتوحيده وما يجب من الإيمان بصفاته، وقد قام النبي ﷺ بوظيفة إرشاد الخلق وتعليمهم أحسن قيام، فما زال يدعوهم ويتلطف بهم ويتحمل أذاهم، حتى انقادوا إليه واجتمعوا عليه، ويدل على عموم بعثته ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام الآية 23]، وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان الآية 1].

قال المصنف رحمه الله: «**وسِراجاً مُنيراً**» تشبيهه ﷺ بالسراج إشارة إلى أن وجوده وفضله ﷺ لم يكن مقصورا على قوم دون قوم، وشُبِّه بالسراج دون الشمس والقمر مع عموم إضاءتهما لغيبة نورهما بِأُفُولهما، ونوره ﷺ لا ينقطع أبدا ولا يغيب، بل هو مستمر.

ثانيا: القرآن العظيم معجزة سيدنا محمد الخالدة

قال المصنف رحمه الله: «**وأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتابَهُ الْحَكيمَ**» مما يجب اعتقاده أن الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه محمد بن عبد الله ﷺ كتابه الحكيم؛ أي الذي أُحكمت فيه علوم الأولين والآخرين، والمحتوي على الحكمة التي هي الإتيان بكل شيء على وجهه، كتابٌ قال الله في وصفه: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود

الآية 1]، وقال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الاسراء الآية 88].

قال المصنف رحمه الله: «وشَرَحَ بِهِ دينَهُ الْقَويمَ وهَدى بِهِ الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ» شرح الله تعالى وأفهم بالنبي ﷺ دينه القويم وهدى به الناس إلى صراطه المستقيم الذي هو الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (49) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (50)﴾ [سورة الشورى 49- 50]، وقول المصنف: «الْقَويمَ» أي المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

من فوائد الدرس: دعوة الرسل وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ الناسَ إلى الغاية من وجود المخلوقات وهي توحيد الله تعالى وعبادته، وأن مهمة الدعاة إرشاد الناس وهدايتهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم الذي يحرر الإنسان من كل المعبودات ويجعل لحياته معنى في الدنيا والآخرة.

التقويم

1- بماذا وصفت رسالة سيدنا محمد ﷺ.

2- أبين وظيفة الرسل ومنهم سيدنا محمد عليهم السلام مع الاستدلال على ذلك.

3- لماذا وُصف الكتابُ بالحكيم؟

الاستثمار

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (46) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (47) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (48)﴾

[سورة الأحزاب الآيات 45-48]

أقرأ الآيات الكريمة بتدبر وأقوم بالآتي:

1- أستخرج من الآيات مهمات الرسول ﷺ.

2- أبين انطلاقا من الآيات كيفية تعامل الداعية مع المناوئين لدعوته.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأجيب عن الأسئلة الآتية:

1- ما هي الساعة؟ وماذا بعدها؟

2- ما أنواع الذنوب؟ وبماذا تُغفر؟

الدرس 14

الإيمان بقيام الساعة والبعث والجزاء

الأهداف

1- أن أتعرف ما يجب الإيمان به من الغيبيات.

2- أن أتعرف أنواع الذنوب وبماذا تغفر؟

3- أن أتمثل آثار الإيمان بهذه الغيبيات.

4- أن أتفادى الذنوب بالتوبة منها وعدم الوقوع فيها.

التمهيد

مما جاء به الرسول ﷺ أن الواجب على كل مكلف الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

فما معنى الايمان باليوم الآخر؟ وما هي مجريات أحواله؟

المتن

قال ابن أبي زيد رحمه الله: «وَأَنَّ الساعةَ آتيةٌ لاَ ريْبَ فيها، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَن يموتُ، كَما بَدَأَهُمْ يَعودونَ، وأَنَّ اللهَ سُبْحَانهُ وتَعَالى ضاعَفَ لِعبادِهِ المُؤْمِنينَ الحَسَناتِ، وصَفحَ لَهُمْ بِالتَّوبَةِ عَنْ كَبائرِ السيئاتِ، وغَفَرَ لهُمُ الصَّغائرَ باجْتِنابِ الكبائرِ، وجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الكبائرِ صائرًا إلى مَشيئَتِهِ، إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشرَكَ بِهِ ويغفِرُ ما دونَ ذلكَ لِمَن يَشاءُ».

الفهم

الشرح:

يبعث : يحيي ويحشر.

ضاعف: كَثَّر وزاد.

صفح : سمح وغفر وتجاوز.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن حكم الإيمان بالساعة.

2- أستخلص من المتن الأحداث التي تكون بعد قيام الساعة.

3- أستخرج من المتن الذنب الذي لا يغفره الله.

التحليل

اشتمل الدرس على ما يأتي:

أولا: الإيمان بقيام الساعة والبعث والنشور

1 - الإيمان بالساعة:

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنَّ الساعةَ آتيةٌ لاَ ريْبَ فيها**» مما يجب اعتقاده أن الساعة وهي القيامة: آتية لا شك فيها، وهي عبارة عن فراغ أيام الدنيا وانقراضها وسميت بذلك لقرب أمرها، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [سورة النحل الآية 77]. وقد أخبر النبي ﷺ بقربها وذكر علاماتها الصغرى والكبرى؛ كطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وفتح ردم ياجوج وماجوج، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الدجال، فهذه خمسة كبرى متفق عليها، وموعد قيام الساعة من الخمس التي لا يعلمها

الا الله تعالى قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان الآية 33].

2- البعث والنشور:

قال المصنف رحمه الله: «**وأنَّ اللهَ يبعثُ مَن يموتُ، كَما بَدَأَهُمْ يَعودونَ**» مما يجب اعتقاده أن الله سبحانه يبعث من يموت، وهذا مما أجمع عليه المسلمون، واستدل العلماء على ذلك بأشياء أحدها قياس الإعادة على البدء، وإليه أشار المصنف بقوله: «كَما بَدَأَهُمْ يَعودونَ»، وقد أشار المصنف بذلك إلى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي كما أنشأكم من العدم إلى الوجود كذلك ينشئكم بعد موتكم إلى الحشر. كما استدلوا بآيات قرآنية كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [سورة يس الآية 50].

ثانيا: مضاعفة الحسنات ومغفرة الذنوب بالتوبة

1- مضاعفة الحسنات للمؤمنين:

قال المصنف رحمه الله: «**وأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالى ضاعَفَ لِعِبادِهِ المُؤْمِنينَ الحَسَناتِ**» مما خص الله به هذه الأمة المشرفة كرامة لنبينا ﷺ تضعيف حسناتها وتكثيرها، فيقبل مولانا سبحانه منها القليل ويجازيها بالكثير وذلك مما يجب اعتقاده؛ لوروده في الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة الآية 260]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر الآية 10]، وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام الآية 160]، ومن السنة أحاديث كثيرة منها حديث المعراج في الصلاة: «... هِيَ خَمْسٌ وَهُنَّ خَمْسُونَ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ» [صحيح البخاري كتاب الصلاة

باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء] ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، فيما يروي عن ربه عز وجل قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ، إِلى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ، إِلى أَضْعافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ سَيِّئَةً واحِدَةً» [صحيح البخاري كتاب الرقاق باب: من هم بحسنة أو بسيئة].

2 - مغفرة الذنوب بالتوبة:

قال المصنف رحمه الله: «**وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوبَةِ عَنْ كَبائِرِ السيئاتِ، وغَفَرَ لهُمُ الصَّغائِرَ باجْتِنابِ الكبائرَ**» مما يجب اعتقاده أن الله سبحانه يتجاوز ويعفو عن كبائر السيئات بسبب التوبة تفضلا وتكرما منه سبحانه على عباده، وأنه سبحانه يعفو عن صغائر الذنوب باجتناب الكبائر. وهذا مما ورد به القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [سورة النساء الآية 31]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [سورة النجم الآية 32]. والمغفرة الستر على الذنوب وعدم المؤاخذة بها.

ومعنى قول المصنف رحمه الله: «**وجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الكبائرِ صائرًا إلى مَشيئَتِهِ**» أن من لم يتب من الكبائر من المؤمنين ومات مُصرا على ذلك فهو صائر إلى مشيئة الله سبحانه إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ثم أدخله الجنة بعد ذلك.

3- الشرك لا يغفره الله تعالى:

استدل المصنف رحمه الله على أن الشرك لا يغفره الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء الآية 115]، وقد تضمنت هذه الآية الرد على أربع طوائف في مسألة حكم العاصي، وهم:

- الخوارج القائلون بتكفير العاصي إن لم يتب، والقائلون بأنه منافق.
- المرجئة الذي يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

– الوعيدية من المعتزلة القائلون بأنه لا بد من إنفاذ الوعيد والتخليد بالذنب في النار.

– المعتزلة القائلون بأن له منزلة بين المنزلتين، فلا يقال فيه مؤمن ولا كافر وجعلوا الفسق مرتبة بين الكفر والإيمان.

ومذهب أهل السنة الأشاعرة في المسألة جواز المغفرة للعاصي، فأمره موكول إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ما لم يكن مستحِلًّا لمحرم مجمع عليه أو مستخِفّاً بربه، ودليلهم هذه الآية وغيرها من الأدلة القاطعة.

من فوائد الدرس: إعداد المؤمن للقاء ربه بإيمانه بالساعة والبعث والجزاء والعمل لذلك، واستحضارُ عظمة الوقوف بين يدي ربه سبحانه، وذلك يدعو إلى فعل الطاعات وتجنب المعاصي التي تكدر صفو صلة العبد بربه، وتُنسِيه المقصد من وجوده، وتجعله أسيرا لها فتُلقِي به في مهاوي المخالفات.

التقويم

1- أبين معنى قول المصنف: «وَأَنَّ الساعةَ آتيةٌ لاَ ريْبَ فيها».

2- ما دلائل البعث والنشور؟

3- ما أنواع الذنوب وبماذا يغفرها الله؟

الاستثمار

عن أبي سعيد الخدري، قال: اشترى أسامة بن زيد بن حارثة... إلى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ أُسَامَةَ يَشْتَرِي إِلَى شَهْرٍ إِنَّ أُسَامَةَ طَوِيلُ الْأَمَلِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا طَرَفَتْ عَيْنَايَ فَظَنَنْتُ أَنَّ شَفْرَيَّ يَلْتَقِيَانِ حَتَّى أُقْبَضَ وَلَا رَفَعْتُ طَرْفِي فَظَنَنْتُ أَنِّي وَاضِعُهُ حَتَّى أُقْبَضَ، وَلَا لَقَمْتُ لُقْمَةً ظَنَنْتُ أَنِّي أُسِيغُهَا حَتَّى أَغَصَّ فِيهَا مِنَ

الْمَوْتِ» ثُمَّ قَالَ: «يَا بَنِي آدَمَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَوْتَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم 6 /91].

أتأمل الحديث وأنجز الآتي:

1- أستخرج من الحديث مظاهر الاستعداد للبعث والجزاء.

2- أعرف بالصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الإعداد القبلي

1- ما هي الأعمال التي توصل صاحبها إلى النار؟

2- بماذا يدخل الناس الجنة؟

3- أبحث عن تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.

[سورة الزلزلة الآية 8]

الدرس
15

خروج عصاة المومنين من النار بشفاعة النبي ﷺ

أهداف الدرس

1- أن أتعرف المقام المحمود للنبي ﷺ عند ربه.

2- أن أستحضر مصير العصاة في الآخرة.

3- أن أمتثل أوامر الله وأجتنب نواهيه لأنال رضاه في الدنيا والآخرة.

التمهيد

لما ذكر ابن أبي زيد رحمه الله في متن الدرس السابق أن من مات على ذنوبه ولم يتب فهو إلى مشيئة الله تعالى إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه، أعقب ذلك بالحديث عن مصير العصاة من المؤمنين وشفاعة الرسول ﷺ فيهم.

فما هو مصير عصاة المؤمنين؟ وما حقيقة شفاعة النبي ﷺ؟ وما معنى شفاعة النبي ﷺ في العصاة من أمته؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «ومَنْ عَاقبهُ بنَارهِ أخْرجَهُ منْهَا بإيمَانه فأَدْخله به جَنّته، ومَن يَعمَلْ مِثْقَال ذَرّة خيْرًا يرهُ، يَخرُج مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ شَفعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمّته»

الفهم

الشرح:

عاقبه : أخذه بذنبه واقتص منه والعقاب الجزاء بالشر.

مثقال : ما يوزن به وهو اسم آلة، ومثقال الشيء وزنه.

ذرة : جزء متناه في الصغر.

شفاعة: طلب الخير للغير وطلب الإعانة والمعونة له.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخلص من المتن مصير العصاة من المومنين.

2- أستخرج من المتن من تشملهم شفاعة النبي ﷺ.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: مصير العصاة من المومنين

قال المصنف رحمه الله: «**وَمَنْ عَاقبهُ بِنَارِهِ أَخْرجَهُ مِنْهَا بإيمَانِه فأَدْخَله بِهِ جَنّتَه**» مما يجب اعتقاده أن بعض العصاة من الموحدين سيناله عقاب الله تعالى يوم القيامة، وذلك متفاوت بحسب تفاوتهم في المعاصي، وهؤلاء سيخرجهم الله من النار بسبب إيمانهم وسيدخلهم الجنة، وقول المصنف: «فأَدْخَله بِهِ جَنّتَه» أي جنس جنته؛ لأن الجنان سبع: جنة الفردوس، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة النعيم، وجنة عدن، ودار السلام، ودار الخلد.

وقد ورد في الحديث ما يقتضي أن النار لا تأكل مواضع السجود من المؤمن؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ

بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرَجُونَ مِنْ النَّارِ وَقَدْ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» [صحيح مسلم كتاب الإيمان باب: معرفة طريق الرؤية].

قال المصنف رحمه الله: «**وَمَن يَعملْ مِثْقَال ذَرّة خَيْرًا يَرهُ**» أشار المصنف بهذا إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [سورة الزلزلة الآية 8] أي من عمل وزن ذرة خيرا فإنه يجازى عليه، والخير ما يحمد فاعله شرعا، والإيمان من الخير؛ فيرى المؤمن جزاء خيره في الدنيا والآخرة، ودليله قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل الآية 97]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [سورة طه الآية 109]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران الآية 115].

ثانيا: الإيمان بشفاعة النبي ﷺ

قال المصنف رحمه الله: «**يَخْرُج مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبيّ ﷺ مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمّتِهِ**» مما يجب اعتقاده إثبات الشفاعة لنبينا محمد ﷺ، وقد أجمع السلف والخلف من أهل السنة والحق، على ثبوت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ ولسائر الرسل والملائكة والمؤمنين مطلقا، وأجلها وأعظمها شفاعة نبينا محمد ﷺ لأهل الموقف عامة، ولا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن الشفاعة ثابتة لسيدنا محمد ﷺ في عصاة أمته من أهل الكبائر والصغائر يخرجون من النار بشفاعته ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [سورة محمد الآية 19].

وشفاعته ﷺ شفاعات يجب الإيمان بجميعها وهي:

الأولى: شفاعته لأهل الموقف في الحساب، وهذه الشفاعة العظمى خاصة به ﷺ.

الثانية: شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وهي خاصة به ﷺ.

الثالثة: شفاعته في قوم استوجبوا النار فلا يدخلونها بشفاعته ﷺ.

الرابعة: شفاعته في إخراج من دخل النار من المؤمنين ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون.

الخامسة: شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض الكفار، وهي مختصة به كشفاعته في عمه أبي طالب للتخفيف عنه.

من فوائد الدرس: استشعار أثر الإيمان في الدنيا والآخرة وذلك يدفع المؤمن لتقوية إيمانه بربه فتزكو بذلك نفسه ويستقيم قلبه وجوارحه؛ فيحيى حياة صالحة طيبة يحقق فيها المقصد من وجوده وهو عبوديته لربه ونفعه لعباده، كما تتجلى في الدرس مكانة سيدنا محمد ﷺ عند ربه؛ فهو صاحب لواء الحمد والشفاعة العظمى يوم القيامة، فالسعيد من يعمل بشريعته السمحة ويتخلق بأخلاقه، ويتقرب إلى الله بمحبته واتباعه لينال شفاعته ﷺ.

التقويم

1- أُبينُ مصير العصاة.

2- بماذا يخرج العصاة من النار؟ مع الاستدلال.

3- أَذكر أنواع شفاعات النبي ﷺ.

الاستثمار

قال الإمام اللقاني في جوهرة التوحيد ما نصه :

واجب شـفاعـة المشفـــــع *** محمد مـقـدما لا تـمنـــع
وغيره من مرتــضى الأخيــار *** يشفـــع كما قد جاء في الأخبــار
إذ جائز غفران غيــر الــكفــر *** فلا نكــفــر مومــنا بالــوزر

[جوهرة التوحيد ص : 415]

أحفظ الأبيات الثلاثة وأستخرج منها أنواع الشفعاء وأقارن ذلك بما فهمت من الدرس.

الإعداد القبلي

أحفظ متن الدرس القادم وأبحث عن:

1- ما هي الجنة؟ ولمن أعدها الله تعالى؟

2- أبحث عن آيات قرآنية في وصف الجنة وأهلها ونعيمها.

3- ما هو أعظم ما يكرم الله به عباده في الآخرة؟

الدرس 16

الجنة وأهلها ونعيمها

الأهداف

1- أن أَعرفَ نعيم الجنة ومن هم أهلها؟

2- أن أستحضر خلود المؤمنين في دار النعيم.

3- أن أحقق العبودية لله تعالى لأحظى برؤيته سبحانه في الجنة.

الأهداف

عرفت أن الله سبحانه يُخرِج من النار من يشاء من العصاة المؤمنين بسبب إيمانهم وشفاعة الشافعين المرتضَيْن فيهم ولو كان إيمانهم مثل حبة الخردل، ويدخلهم جنته بفضله وكرمه ورحمته.

فما الجنة؟ ولمن أعدها الله تعالى؟ وما أعظم ما يكرم الله به عباده فيها؟

المتن

قال ابن أبي زيد رحمه الله تعالى: «وأَنّ الله سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الجّنَةَ فَأعَدّهَا دَارَ خُلُودٍ لأوْلِيَائه وأكْرَمهُمْ فِيهَا بِالنّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَهِي التّي أُهْبِطَ مِنْهَا آدَمُ نَبِيُّهُ وخَلِيفَتَهُ إِلَى أَرْضِه بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ».

الفهم

الشرح :

أعد : هيأ ويسر.

خلود: دوام واستقرار

أهبط : أنزل

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن من أُعدت لهم الجنة.

2- أستخلص من المتن مَن يحظى يوم القيامة بالنظر إلى وجه الله الكريم.

التحليل

أولا: الإيمان بوجود الجنة وإعدادها للمؤمنين

1- خلقه سبحانه للجنة:

قال المصنف رحمه الله: «**وأَنّ الله سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الجّنَةَ» مما يجب اعتقاده أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الجنة فأعدها دار خلود واستقرار دائم مؤبد لأوليائه، وهم المؤمنون به من الإنس والجن. ومعنى قول المصنف: «قَدْ خَلَقَ الجّنَةَ»** أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ولا يكون مُعَدّاً إلا ما كان حاصلا ثابتا، فالحمل على ظاهر النصوص واجب، وهذا مذهب أهل السنة، وأكثر العلماء على أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش؛ لقوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النجم الآية 14-15]، وقوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة الآية 34]، وقول النبي

ﷺ: «إِنِّى رَأَيْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا». [صحيح البخاري كتاب الأذان باب: رفع البصر إلى الإمام في الصلاة].

2- إعداد الجنة دار خلود للمؤمنين:

قال المصنف رحمه الله: «فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لأَوْلِيَائه» مما يجب اعتقاده أن الله تعالى أعد الجنة وهيأها ويسرها دار خلود وإقامة وبقاء مؤبد سرمدي لأوليائه المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [سورة فاطر الآية 35].

وقول المصنف رحمه الله: «لأَوْلِيَائه» الأولياء جمع ولي، والولي يحتمل أن يكون فعيل بمعنى فاعل فيكون معناه من توالت طاعتُه، ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول، وهو الذي يتولى الله حفظه وحراسته، ويُدِيم توفيقه لطاعته.

ثانيا: الإيمان بالنظر إلى وجه الله تعالى الكريم

1 - مذهب أهل السنة في حكم النظر إلى وجه الله تعالى الكريم:

قال المصنف رحمه الله: «وأَكْرَمهُمْ فِيهَا بِالنّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ» أعظمُ ما يكرم به الله المؤمنين في الجنة النظرُ إلى وجهه تعالى، وقد جاء الوعد به في الآخرة في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة الآيتان 21-22]. فقوله تعالى: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد من النضارة التي هي الحسن والجمال، وقوله تعالى: ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بالظاء من النظر الذي هو الإبصار بالبصائر والأبصار فيكشف الله سبحانه الغطاء عن أبصار المؤمنين انكشاف القمر ليلة البدر كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه نيف وعشرون من أكابر الصحابة.

قال العلماء أفضل ما أُعطِي العبد في الدنيا الذكرُ، وفي الآخرة النظرُ إلى وجه الله الكريم؛ فعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار

قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» [صحيح مسلم كتاب الإيمان باب: إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى].

2- الجنة الموعود بها:

قال المصنف رحمه الله: «**وَهِي التِّي اهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيّهُ وخَلِيفَتَه إِلَى أَرْضِه**» بين المصنف أن الجنة الموعودَ بها هي التي أُهبط منها آدم أبو البشر عليه السلام، وكان هبوطه يوم الجمعة، وهو اليوم الذي خُلق فيه، وفيه أخرج منها وأنزل إلى الأرض. وقول المصنف رحمه الله: بِمَا سَبَقَ في سَابِقِ عِلْمِهِ» إشارة إلى سبب هبوطه وهو أنه نهي عن أكل الشجرة فأكل منها ناسيا لِما عهد به الله إليه، وأن أكله من الشجرة التي نهي عن أكلها إنما كان بسبب حكمه النافذ وقضائه السابق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [سورة طه آية 112].

وقول المصنف رحمه الله: «**نَبِيُّهُ وخَلِيفَتُه**» بيان لمزية آدم وجلالة قدره حتى لا يُتوهم شيء من النقص في أكله ونزوله فإنه عليه السلام معصوم من العصيان الموجب للإثم، والخلافة ثابتة له بقوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة الآية 29] فكيف يقيمه في الأرض خليفة له ويجعله محل النقص والعصيان؟

من فوائد الدرس ما قاله ابن عطاء الله السكندري: «إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين؛ لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم، ولأنه أجل أقدارهم عن أن يُجازيَهم في دار لا بقاء لها» [الحكم ص 119 بنقل جسوس على توحيد الرسالة 2 /640].

التقويم

1- أبين لمن أعد الله الجنة مع الاستدلال على ذلك.

2- ما هي أعظم منة امتن بها الله على عباده في الجنة؟

3- لماذا أخرج الله آدم من الجنة؟

الاستثمار

قال ابن عطاء الله: «إن من الفوائد أن آدم وحواء عليهما السلام كانا في الجنة متعرفا إليهما بالرزق والعطاء والإحسان والنعماء، فأراد الحق سبحانه من خفي لطفه في تدبيره أن يأكلا من الشجرة ليتعرف إليهما بالحلم والستر والمغفرة والتوبة والاجتبائية، أما الحلم فلأنه لم يعاجلهما بالعقوبة حين فعلا، والحليم لا يعاجلك بالعقوبة على ما صنعت، بل يمهلك إما إلى عفوه وإنعامه وإما إلى سطوته وانتقامه، وأما الستر فلأنهما لما أكلا وبدت لهما سوءاتهما بزوال ملابس الجنة سترهما بورقها كما قال تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [سورة الأعراف الآية 21] فكان ذلك من وجود ستره».

[التنوير في إسقاط التدبير ص: 26 بتصرف].

أتأمل النص وأستخرج منه ما يلي:

1- تجليات عناية الله بخليفته آدم عليه السلام.

2- نوعية معاملة الله سبحانه لأهل الخصوصية من عباده المقربين.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن مشاهد يوم القيامة.

الدرس 17

عرض الخلائق بين يدي الله تعالى

الأهداف

1- أن أتعرف مشاهد العرض والحساب يوم القيامة.

2- أن استحضر مشاهد يوم القيامة من خلال ما أخبر به القرآن الكريم أو السنة النبوية.

التمهيد

علمت فيما مضى أن الله تعالى أعد الجنة دار خلود لأوليائه وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه سبحانه أعد النار دار عقاب لمن كفر به، وستتعرف في هذا الدرس على ما يجب الإيمان به مما يقع في عرصات يوم القيامة من الأهوال الكثيرة.

فماذا يقع في ذلك اليوم من أهوال وشدائد؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «وأنّ الله تَبَارَك وتَعَالَى يَجِيءُ يَوْم اُلْقِيَامَةِ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا لِعَرْضِ اُلْأُمَمِ وحِسَابِهَا وعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا».

الفهم

الشرح:

القيامة : البعث من القبور؛ أي يوم يقوم الناس لرب العالمين.

العرض: الظهور أمام الملأ.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخلص من المتن مشاهد يوم القيامة.

2- أستخرج من المتن غاية عرض الأمم على الله تعالى.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: الإيمان بأن اللّه يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا

1 - الإيمان بأن الله يجيء يوم القيامة:

قال المصنف رحمه الله: «**وأنّ الله تَبَارَك وتَعَالَى يَجِيءُ يَوْم الْقِيَامَةِ**» مما يجب على كل مؤمن الإيمان به واعتقاد وقوعه أن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة، وإسناد المجيء له سبحانه مصروف عن ظاهره إجماعا؛ إذ يستحيل في حقه سبحانه وتعالى الجهات والأمكنة والتحول.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر الآية 24]

قال السلف الصالح: هذا من السر المكتوم الذي لا يفسر، وكان مالك رضي الله عنه وغيره يقول في هذه الآية وأمثالها: اقرؤوها كما جاءت بلا كيف، وجمهور المتكلمين أوَّلُوها؛ فمنهم من قال: معنى مجيئه تعالى ظهوره؛ لأن الظهور في العادة لا يأتي إلا بمجيء وانتقال، وقيل المجيء في حقه تعالى صفة يجب إثباتها لنص القرآن ويجب إخراجها عن الظاهر المحال كالنزول والاستواء والساق والقدم والجنب والعين والوجه ونحو ذلك إلا أن تعرض شبهة فيؤخذ بما يقتضي التنزيه من تأويلها، وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري.

وقول المصنف: «**يَوْم الْقِيَامَةِ**» سمي بذلك لقيام الخلق كلهم من قبورهم فيه ووقوفهم بين يدي ربهم وخالقهم، ولقيام الحجة لهم وعليهم. ويومُ القيامة هو يوم انقراض الدنيا وفنائها،

ويومُ خراب العالم، ويومُ الأهوال التي توجب ذهول المرضع عمن ترضعه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ﴾. [سورة الحج الآية 1 – 2]

2 - الإيمان بأن الملائكة يجيئون يوم القيامة صفا صفا:

قال المصنف رحمه الله: «**والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**» إسناد المجيء إلى الملائكة على ظاهره، والمراد بالمَلَك الملائكةُ، وهم عباد الله المكرمون بطاعته، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وجمهور أهل الملل على أنهم أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة شأنهم الخير والعلم والقدرة، لا يوصفون بأنوثة ولا بذكورة. ومعنى قول المصنف: «صَفًّا صَفًّا»؛ أي صفوفا بعد صفوف، محدقين بالخلائق بحيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر.

وما ذكره المصنف يشير به لقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [سورة الفجر الآية 24]

ثانيا: عرض الأمم على الله تعالى وحسابها يوم القيامة

1 - عرض الأمم على الله سبحانه:

قال المصنف رحمه الله: «**لِعَرْضِ الأُمَمِ**» قوله: «لِعَرْضِ» متعلق بيجيء والعرض تمييز المعروضين، والنظر في أحوالهم وتعيينهم. وظاهر قوله: «**الأُمَمِ**» أن سائر الأمم من جميع الخلق تعرض، وقيل لا يحشر للعرض إلا من يحاسب ويعاقب وهم الآدميون لا البهائم ومطلق الحيوانات، والصحيح أن مطلق الحيوان يحشر..وفي عرض الأمم للحساب قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٖ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٞ﴾ [سورة الحاقة الآية 17] وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾ [سورة الكهف الآية 47].

2- حساب الأمم على أعمالها:

قال المصنف رحمه الله: «**وحِسَابِهَا وعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا**» معطوف على قوله: «لِعَرْضِ»،

ومعناه أن مشاهد القيامة هي العرض أولا ثم الحساب ثم العقاب أو الثواب، وفي حساب الأمم على أعمالها قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [سورة الغاشية الآية 25-26].
وفي مقدار زمن الحساب قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران الآية 199] أخبر الحق سبحانه عن نفسه بأنه سريع الحساب للخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم وتنوعها، وذلك يدل على كمال قدرته سبحانه. قال ابن عطية رحمه الله: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الخلائق؟ فقال: كما يرزقهم في يوم [المحرر الوجيز 12 /414]

وقول المصنف: «**وعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا**» الثواب والعقاب هما ثمرة الحساب وفائدته ونتيجته وقد ورد أن أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله الصلاة وأول ما يقضى فيه بين الناس الدماء.

من فوائد الدرس: تربية المؤمن على مراقبة الله تعالى واستشعار الوقوف بين يديه، والتزود لتلك المشاهد بتقوى الله تعالى وطاعته، وفي الحساب إظهار مراتب أرباب الكمال وفضائح أصحاب النقصان على رؤوس الأشهاد زيادة في لذات أولئك ومسراتهم، وآلام هؤلاء وأحزانهم ففيه ترغيب في الحسنات وزجر عن السيئات.

التقويم

1- أبين مذهب السلف في معنى قول المصنف: «وأنّ الله تَبَارَك وتَعَالَى يَجِيءُ يَوْم الْقِيَامَةِ».

2- ما معنى قول المصنف: صَفّاً صَفّاً؟

3- كيف يحاسب الله الخلائق؟

الاستثمار

قال الأستاذ العربي اللوه رحمه الله: «اختلف العلماء في معنى محاسبته تعالى عبادَه على أقوال: أولها أنه تعالى يكلمهم في شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من

العقاب بأن يرفع عنهم الحجاب ويسمعهم كلامه القديم، أو صوتا يدل عليه يخلقه سبحانه وتعالى في أذن كل واحد من المكلفين أو في محل يقرب من أذنه بحيث لا تبلغ قوة ذلك الصوت منع الغير من سماع ما كلم به

وهذا هو الذي تشهد له الأحاديث الصحيحة. ثانيها أن يخلق الله في قلوبهم علما ضروريا بمقادير أعمالهم من الثواب أو العقاب، قاله الفخر الرازي. وثالثها أنه تعالى يوقفهم بين يديه ويوتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها، وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم ونقل هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما». [الرائد في علم العقائد ص 218]

أقرأُ النص بتأمل وتدبر ثم أُجيب عما يلي:

1- ما هو القول الذي يتفق مع ما اكتسبته من الدرس السابق في كيفية الحساب؟

2- أَستخرجُ من النص ما يدل على أن الله تعالى يحاسب عباده بنفسه.

الإعداد القبلي

ورد في سورة القارعة قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ [الآيات 5 – 6 – 7 – 8].

1- أبحث عن تفسير هذه الآيات وأقارن بينها وبين الآيات التي في سورة الأعراف في نفس الموضوع.

2- ماذا يوزن في تلك الموازين؟ وكيف يوزن؟ وما جزاء من ثقلت موازينه؟

الدرس
18

الإيمان بالميزان وإيتاء الصحف

الأهداف

1- أن أتعرف كيفية وزن أعمال العباد.

2- أن أميز بين الموازين والصحف.

3- أن أستحضر أن العمل الصالح يؤدي إلى أخذ الصحف باليمين يوم الحساب.

التمهيد

نصبت الموازين في الدنيا لحفظ الحقوق وضمان العدل بين الناس، وقد أخبر رب العزة سبحانه أنه وضع الموازين يوم القيامة للعدل بين الناس كما ورد بذلك ظاهر القرآن.

فماذا يوزن في ميزان الآخرة؟ وما علاقة ذلك بالصحف؟

المتن

قال المصنف رحمه الله تعالى: «وَتُوضَعُ المَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ العِبَادِ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُه فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ، ويُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيراً».

الفهم

الشرح :

توضع : تُنصب وتُقام وتُعد.

الموازين: جمع ميزان: آلة يوزن بها الشيء لمعرفة مقداره.

يؤتى : يُعطى ويُسلم.

صحائف : جمع صحيفة الورقة المكتوبة القرطاس الجريدة.

يَصْلَون : يُشْوَون يحترقون.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخلص من المتن الغاية من وضع الموازين يوم القيامة.

2- أستخرج من المتن مصير من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه.

3- أستخلص من المتن كيفية أخذ العباد صحائفهم يوم القيامة

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: الإيمان بموازين يوم القيامة

1- وجوب الإيمان بالموازين:

قال المصنف رحمه الله: «**وَتُوضَعُ المَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ العِبَادِ**» مما يجب اعتقاده أن الله تعالى سيضع وينصب الموازين لأجل وزن الأعمال أي الصحائف التي فيها أعمال العباد، وقد أجمع أهل الحق على وجود ميزان حسي له كفتان ولسان، فتوزن فيه صحائف أعمال العباد

ليظهر الرابح والخاسر، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء الآية 47] والصحيح أنه ميزان واحد، وحُمِل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ على الموزونات أو على أنه أتى بلفظ الجمع تعظيما لشأنه وتفخيما لأمره وتحذيرا من اكتساب السيئات، وتحريضا على اكتساب الطاعات.

وقول المصنف: «**لِوَزْنِ أَعْمَالِ العِبَادِ**» أي لوزن صحائف أعمال العباد، ويحتمل أنها تجسم وتوزن فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة وأعمال المسيئين في صورة قبيحة، ويشهد لهذا أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ» [صحيح البخاري باب: ونضع الموازين القسط]، وحديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، والحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحانَ الله والحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ» [صحيح مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء] وحديث أبي الدرداء رفعه: «أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ خُلُقٌ حَسَنٌ» أخرجه البيهقي.

2- وزن الأعمال علامة للفلاح أو الخسران:

قال المصنف رحمه الله: «**فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُه فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**» أي فمن ثقلت ورجحت موزوناته وهي الصحف التي فيها الأعمال فأولئك هم الناجون الفائزون، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل. والقول الصحيح أنه على صفة ميزان الدنيا، وارتضاه اللقاني في شرح الجوهرة، ويحتمل أن يقال: إن الإيمان يوزن وعليه فكل مؤمن يثقل ميزانه لأن الإيمان لا يثقل عليه شيء.

ثانيا: كيفية إيتاء العباد صحف أعمالهم وأثره

1 - إيتاء العباد صحف الأعمال:

قال المصنف رحمه الله: «**ويُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ**» مما يجب الإيمان به واعتقاد وقوعه أن الأمم؛ - أي المكلفين منهم- يُعطون صحائفهم وهي الكتب التي كتبت الملائكة فيها أعمالهم في الدنيا. وقول المصنف: «**بِأَعْمَالِهِمْ**» أي يؤتون صحائفهم مصاحبة لأعمالهم فالباء للمصاحبة، فإذا أُعْطُوها يخلق الله لهم علما ضروريا يفهمون به ما فيها مما فعلوه في الدنيا، ودليل أخذ الصحف قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [سورة التكوير آية 10] وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾. [سورة الكهف الآية 48]

2- كيفية إيتاء الصحف وأثره:

قال المصنف رحمه الله: «**فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِك يَصْلَوْنَ سَعِيراً**» مما يجب اعتقاده أن الناس يؤتون صحف أعمالهم فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله، وقول المصنف: «**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**» أي سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يتعرض له بما يسوءه، وقد أشار بهذا المصنف لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾. [سورة الانشقاق الآيات: 7-8-9-10-11-12]

يستفاد من الدرس أن الغاية من نشر الصحف وأخذ العباد صحفَ أعمالهم وقراءتها أنه بنشر الصحف يَعلم العبد المقبولَ والمردودَ من حسناته والمغفورَ والمأخوذ به من سيئاته، وفي ذلك تنبيه له إلى أهمية تزكية النفس بالعمل الصالح في حياة الإنسان دنيا وأخرى، وذلك عين القسط والحكمة.

التقويم

1- لماذا توضع الموازين؟

2- من الذين تثقل موازينهم ومن الذين تخف موازينهم؟

3- كيف يؤتى العباد صحائف أعمالهم؟ وما أثر ذلك؟

الاستثمار

قال الأستاذ العربي اللوه: «إن أخذ العباد صحف أعمالهم يوم القيامة مما يجب اعتقاده والإيمان به لوروده كتابا وسنة وإجماعا، وإنكاره كفر؛ أما دليله من الكتاب فآيات كثيرة قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿13﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿14﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في أخذ العباد صحفهم يوم القيامة.

أقرأ النص جيدا وأبحث عما يلي:

1- أبحث عن أدلة من الحديث النبوي تثبت أخذ العباد صحف أعمالهم وكيفية ذلك.

2- أبحث عن أنواع الآخذين للصحف يوم القيامة.

3- أَرُدُّ كل آية من الآيات الواردة في النص إلى أماكنها في سورها المذكورة فيها.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن المراد بالصراط ؟ وكيف يتم المرور عليه؟

الدرس 19

الإيمان بالصراط

الأهداف

1- أن اتعرف مفهوم الصراط شرعا.

2- أن أدرك تفاوت الناس في سرعة عبور الصراط.

3- أن أتمثل محاسن الأخلاق المؤدية إلى المرور السليم على الصراط.

التمهيد

ما زلنا نواصل الحديث عن مشاهد يوم القيامة وأهوالها، وهو ما يدعو كل مؤمن في الدنيا إلى الأعمال الصالحة التي تنجيه من الفزع الأكبر يوم القيامة وسنتناول نوعا آخر من تلك الأهوال وهو المرور على الصراط.

فما المراد بالصراط؟ وما هي مراتب الناس في المرور عليه؟

المتن

قال المصنف رحمه الله تعالى: «وَأَنّ الصِّرَاطَ حَقٌّ يَجُوزُهُ العِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهنّمَ وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ».

الفهم

الشرح :

الصراط: الطريق.

متفاوت: متفاضل متسابق.

أوبق : أهلَك وأسقط.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخلص من المتن وسيلة المرور على الصراط.

2- أستخرج من المتن كيفية عبور العباد على الصراط.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: وجوب الإيمان بالصراط وكيفية المرور عليه

1 - وجوب الإيمان بالصراط وأوصافِه:

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنّ الصِّرَاطَ حَقٌّ**» الصراطُ مما يجب الايمان به واعتقاد وجوده وأن المرور عليه حق، وهو مذهب أهل السنة ومنهم الأشاعرة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» [صحيح البخاري كتاب الأذان باب فضل السجود] وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «بَلَغَنِي أَنّ الْجِسْرَ أَدَقّ مِنَ الشّعَرَةِ وَأَحَدّ مِنَ السّيْفِ». [صحيح مسلم كتاب الإيمان باب: معرفة طريق الرؤية]

وعن أَنس بن مالك أَنَّ رجلا قال: يارسول اللهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [صحيح مسلم صفة القيامة والجنة والنار باب: يحشر الكافر على وجهه] وهذا الجسر منصوب على جهنم، فلا يدخل أحد الجنة حتى يعبر على جهنم، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [سورة مريم الآية 71] في بعض الأقوال في تفسير الآية الكريمة.

2- كيفية المرور على الصراط

قال المصنف رحمه الله: «**يَجُوزُهُ العِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ**» مما يجب اعتقاده أن العباد يمرون على الصراط بقدر أعمالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا فمنهم ناجون ومنهم من توبقهم ذنوبهم، ويظهر أن ذلك يشمل المؤمنين والكافرين؛ لما في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسلِ بِأُمَّتِهِ». [صحيح البخاري كتاب الأذان باب: فضل السجود] ووقت المرور عليه بعد الحساب، فمن تعداه نجا ومن أوبقته ذنوبه وقع في النار.

ثانيا: أحوال الناس في المرور على الصراط

1- أحوال الصالحين

قال المصنف رحمه الله: «**فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**» مرور العباد على الصراط يكون بقدر أعمالهم؛ فقوم ناجون متفاوتون في سرعة المرور عليه، متفاوتون في النجاة من السقوط في النار، متفاضلون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم؛ فمنهم من يجوزه كالبرق، ومن يجوزه كالريح المرسلة، ومنهم كالخيل السابقة، ومنهم من يجري جريا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يمشي مرة ويكبو أخرى؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فَيَمُرّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ...» [صحيح مسلم كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية] فهؤلاء أقسام الناجين على الصراط وكيفية مرورهم عليه. وفي ذلك بيان لأهمية العمل في نجاة الإنسان وسعادته عند ربه.

2 - أحوال غير الصالحين

قال المصنف رحمه الله: «**وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ**» هذا هو الصنف الثاني من المارين على الصراط، وهم قوم أهلكتهم ذنوبهم وأوبقتهم معاصيهم فأسقطتهم في جهنم؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال فيمن توبقهم ذنوبهم على الصراط: «... وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»، وعن أم المومنين عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت فقال لها النبي ﷺ: «ما يبكيك»؟ قالت: ذكرتُ النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال: النبي ﷺ: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر فيها أحد إلا نفسه لعظم هولها وشدة روعها عند الميزان إذا وضع حتى يعلم أيخف أم يثقل، وعند الكتاب أيقع في يمينه أم شماله، وعند الصراط إذا وضع حتى يجاوزه» [المستدرك لأبي عبد الله الحاكم كتاب الأهوال].

يستفاد من الدرس أن الغاية من مد الصراط على جهنم والمرور عليه إظهارُ عظيم فضل الله تعالى ومنته على عباده المؤمنين في النجاة من النار، وتحسر من أوبقتهم ذنوبهم بفوز المؤمنين بالنعيم السرمدي في الجنة بينما هم يشقون الشقاء الأبدي بسقوطهم في جهنم مع اشتراك الجميع في أصل المرور. [العربي اللوه الرائد في علم العقائد ص 232]

التقويم

1- أعرف الصراط لغة واصطلاحا.

2- أذكر بعض أوصاف الصراط.

3- كيف يجتاز العباد هذا الصراط؟ وما الحكمة من نصبه؟

الاستثمار

قال أبو العباس أحمد المقري في إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة:

وكالصراط ذي الكلاليب ومن *** أنقذ منه فهو بالفوز قمن
جسر على متن جهنم التي *** يهوي بها من رجله قد زلت
وما يقال إنه أدق *** من شعر صدقه فهو حق
وفي صحيح مسلم ما أرشدا *** إليه والضرير فيه أنشدا
والرب لا يعجزه إمشاؤهم *** عليه إذ لم يعيه إنشاؤهم

[إضاءة الدجنة ص 47–48]

1- أنقل الأبيات إلى كراستي وأحفظها.

2- أشرح الأبيات شرحا وجيزا حسبما فهمتُ من الدرس السابق.

3- أعرف بعالمين ورد ذكرهما في هذه الأبيت.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن الآتي:

1- ما ورد في الدرس من أمور الآخرة.

2- أبحث عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾.

الدرس 20

الإيمان بحوض النبي ﷺ وبيان من يَرِدُه

الأهداف

1- أن أتعرف حوض النبي ﷺ.

2- أن أتعرف من يُبعد ويطرد عن حوض النبي ﷺ.

3- أن أعمل الصالحات لكي أنال شرف ورود حوض النبي ﷺ.

التمهيد

أهوال يوم القيامة عظيمة والفزع الأكبر يصيب أهل الموقف، وتدنو الشمس فوق رؤوسهم ويعرقون حتى يصل العرق من بعضهم الرقاب، وبينما الناس على هذه الحال يفتح الله بابا من الرحمة هو حوض سيدنا محمد ﷺ.

فما هو الحوض؟ ومن يَرِدُه ؟ ومن يُذاد عنه؟

المتن

قال ابن أبي زيد رحمه الله تعالى: «وَالإيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تَرِدُه أُمّتُهُ، لاَ يَظْمأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، ويُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدّلَ وَغيّرَ».

الفهم

الشرح :

حوض: الحوض مجتمع الماء، ويجمع على أحواض وحياض.

تـرده : تأتيه، والمورد مكان ورود الماء للسقي، والورد هو الشرب.

يـظمـأ: يعطش

يُــذاد : يبعد ويُطرد.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن حكم الإيمان بحوض النبي ﷺ.

2- أستخلص من المتن أحوال الناس عند حوض النبي ﷺ.

3- أستخرج من المتن سبب إبعاد بعض الناس عن حوض النبي ﷺ.

التحليل

أولا: الإيمان بحوض النبي ﷺ ومن يَرِده

1- الإيمان بحوض النبي ﷺ:

قال المصنف رحمه الله: «**وَالإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**» مما يجب اعتقاده والتصديق بوجوده حوض رسول الله ﷺ؛ فقد تواترت به الأخبار، وأخرج أحاديثه أهل الصحة، وأجمع عليه السلف الصالح، وأطبقوا على الابتهال إلى الله أن يسقيهم منه؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَواكِبِهَا في اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَيْسَ يَظْمَأُ آخِر مَا عَلَيْهِ، يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ

بيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ». [صحيح مسلم كتاب الفضائل باب: إثبات حوض النبي ﷺ]

وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وزَواياهُ سَواءٌ وماؤهُ أبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وريحُهُ أطْيَبُ مِنَ المِسْكِ وكِيزانُهُ كَنُجُومِ السَّماءِ مَنْ يَشْرَبْ مِنْهُ فلا يَظْمَأْ أبداً». [صحيح مسلم كتاب الفضائل باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته] وهو أحد الأقوال في معنى الكوثر، ويكون الحوض في الأرض المبدلة، وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولا ظُلم على ظهرها أحد، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

2- من يَرد حوض النبي ﷺ:

قال المصنف رحمه الله: «**تَرِدُه أُمّتُهُ لاَ يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ**» أي تأتيه وتشرب منه أمة الإجابة أي أتباع شريعته ﷺ حين خروجهم من قبورهم عطاشا، وظاهره أن وروده قبل الميزان والصراط والحساب؛ لأنه لو كان بعد الصراط لَما صح أن يذاد عنه أحد إلى النار، فان من جاوز الصراط لا رجوع له في النار أبدا، وليس في المسألة قاطع يرجع إليه، فالواجب اعتقاد ثبوت الحوض والصراط والميزان والحساب، والله أعلم بالمتقدم منها على غيره. وقد أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ خاصة، لكن ورد في حديث الترمذي عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لكلِّ نَبيٍّ حَوْضاً وإنّهُمْ يَتَباهَوْنَ أيُّهُمْ أكْثَرُ وَارِدَةً وإنِّي أرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ وارِدَةً» [سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب: ما جاء في صفة الحوض] ويجمع بينهما أن المختص به ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان به عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾. وقول المصنف رحمه الله: «**لاَ يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ**» أي لا يعطش من شرب منه ولو شربة واحدة، لأنه شراب أهل الجنة.

ثانيا: من يُذاد عن حوض النبي ﷺ

قال المصنف رحمه الله: «**ويُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدّلَ وَغيّرَ**» يطرد وينحى ويبعد عن حوض النبي ﷺ ولا يشرب منه من بدل وغير في شريعته، فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا

يرضاه ولم يأذن به الله فهو ممن يذادون عن حوض النبي ﷺ، وأشدهم طردا المجاهرون بالكبائر المستخفون بالمعاصي.

ودليل ما قاله المصنف أحاديث كثيرة منها حديث أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أنْظُرَ مَنْ يَرِد عَلَيَّ مِنكُمْ، وسَيُؤْخَذُ أُناسٌ دونِي فأقولُ: يا رَبِّ منِّي ومِنْ أُمَّتِي، فيُقالُ: أَمَا شَعرْتَ ما عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ والله ما بَرِحُوا بعدكَ يَرْجِعُونَ على أعْقابِهِمْ» [صحيح مسلم كتاب الفضائل باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته]، وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «... وإنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنهُ كما يَصُدُّ الرَّجُلُ إبِلَ النّاسِ عنْ حَوْضِه» قالوا: أتَعْرفُنا يَوْمَئِذ قالَ: «نَعَمْ لَكمْ سِيما لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرّاً مُحجلِين مِنْ أثَرِ الوُضُوءِ» [صحيح مسلم كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل فى الوضوء].

من فوائد الدرس: بيان مكانة النبي ﷺ عند ربه عز وجل؛ فقد أكرمه بحوض ترده أمته التي أجابت دعوته وتمسكت بشريعته؛ إذ طاعته طاعة لله تعالى، وفي ذلك حث على التمسك بشريعته والسير على هديه والتخلق بأخلاقه ﷺ فقد كان رحمة مهداة للعالمين.

التقويم

1- من يرد حوض النبي ﷺ؟

2- من أين يستمد حوض النبي ﷺ ماءه؟

3- ما جزاء من بدل وغير في الشريعة؟

الاستثمار

قال أبو الحجاج يوسف الضرير المتوفى سنة 520 هــ ما نصه:

والحوض للنبي حقا ينصـــب *** تــرده أمــته فــتشــــرب

يذاد عنه المـــارق المــبـــدل *** كما تذاد الإبــلات الضــلل

إنـــاؤه مثل النجـــوم عـــددا *** لا يظمأ الشارب مـــنه أبدا

شرابه في الطعم والجـــمـــال *** يفوق ما عهد في الأحـــوال

[التنبيه والارشاد في علم الاعتقاد ص: 236]

أشرح مضمون الأبيات باختصار مستدلا ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الموضوع.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن الآتي:

1- تعريف الإيمان وأركانه.

2- بماذا يزيد الإيمان وينقص؟

3- ما علاقة الإيمان بالعمل؟

الدرس
21

مفهوم الإيمان ومراتبه

الأهداف

1- أن أتعرف حقيقة الإيمان.

2- أن أتعرف أن الإيمان يزيد وينقص.

3- أن أدرك أثر العمل في كمال الإيمان.

التمهيد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الأنفال 2- 3- 4].

أتدبر الآيات الكريمة، وأتساءل عن معنى الإيمان؟ وبماذا يزيد وينقص؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «وأَنَّ الايمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَإِخْلَاصٌ بِالقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النَّقْصُ وَبِهَا الزِّيَادَةُ، وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الايمَانِ إِلَّا بِالعَمَلِ وَلَا قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ».

الفهم

الشرح:

الإيمان : التصديق.

إخلاص: صفاء وهو في الطاعة ترك الرياء فيها.

الجوارح: جمع جارحة أي أعضاء الإنسان.

النية : القصد والعزم.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخلص من المتن حقيقة الإيمان.

2- أستخلص من المتن بماذا يزيد الإيمان وينقص؟

التحليل

أولا: حقيقة الإيمان

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنَّ الاِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَإِخْلَاصٌ بِالقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ**» ما ذكره المصنف في قوله أول الباب: «مِنْ ذَلِكَ الإِيمَانُ بِالْقَلْبِ والنُّطْقُ بِاللِّسَانِ» هو نفسه المراد هنا؛ فالإيمان إعلان عن التوحيد بالنطق بالشهادتين، وإذعان القلب وإخلاصه وصدقه في اعتقاد ما ينطق به اللسان، وعمل بمقتضى الاعتقاد؛ فالقول الذي هو الشهادتان ترجمة عما ما في القلب من التصديق والإذعان المعبر عنه هنا بالإخلاص؛ لإفراد الوجهة فيه إلى الله ورسوله، والعمل شرط كمال في الإيمان، وقد اختلف في القول هل هو شرط فلا إيمان لمن لم يأت به مطلقا، أو شطر فيعتبر ما لم يحصل مانع كاخترام المنية بعد العزم عليه، أو عذر كالإكراه على تركه مع تحقق الإيمان بقلبه وهذا هو الصحيح، أو ليس واحدا منهما فيكفي مجرد الاعتقاد ما لم يكن المانع كبرا أو عنادا فلا يختلف في كفره، وأما النطق وحده فلا يكفي بإجماع أهل السنة.

قال المصنف: «**وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ**» عمل الجوارح معتبر في الإيمان على وجه الكمال عند أهل السنة، فأعمال الجوارح جزء من الإيمان الكامل وليست جزءا من مطلق الإيمان، وما ذكره المصنف رحمه الله من أن الايمان يطلق على عمل الجوارح دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة آية 142]، أي صلاتكم.

ثانيا: زيادة الإيمان ونقصانه

قال المصنف رحمه الله: «**يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النَّقْصُ وَبِهَا الزِّيَادَةُ**» هذه هي الفائدة الأولى من الفوائد الأربع التي من أجلها أتى المصنف بقوله: «وأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَإِخْلَاصٌ بِالقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ»، وهي التنبيه على مسألة وقع فيها خلاف بين الأئمة وهي مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فذكر المصنف أن الايمان يزيد وينقص وهو المختار عنده من الأقوال التي في المسألة، وهي ثلاثة أقوال؛ فأما القائلون بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فتمسكوا بأن الإيمان يرجع الى معنى بسيط قلبي فإن حصل فهو الإيمان، وإن لم يحصل لم يحصل الإيمان، ومتى قبل الزيادة كان شكا وكفرا.

وأما القائلون بأنه يزيد وينقص فمنهم من قال: إن مرجع الزيادة والنقص إلى ثمرات الإيمان لا الى نفس التصديق، وعليه درج المصنف رحمه الله إذ جعل النقص في العمل، وبه الزيادة؛ لأن عين العمل يلحقه نقص في ذاته، وأما القائلون بأنه يزيد ولا ينقص فوقفوا مع الاطلاق الشرعي إذ لم ينص الله تعالى إلا على زيادة الإيمان دون نقصانه، قال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [سورة الفتح الآية 4] وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [سورة المدثر الآية 31] وقال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [سورة التوبة الآية 124]، ويروى عن مالك التوقف في نقص الإيمان.

قال المصنف رحمه الله: «**وَلاَ يَكْمُلُ قَوْلُ الايمَانِ إِلاَّ بِالعَمَلِ**» هذه إشارة الى الفائدة الثانية من الفوائد الأربع المذكورة وهي أنه لا يكمل قول الإيمان وهو التلفظ بالشهادتين إلا بعمل الجوارح، وما ذكره المصنف مبني على القول بأن العمل داخل في حقيقة الايمان، وقيل الكمال في كلامه

على ظاهره وهو مبني على القول بأن العمل غير داخل في حقيقة الايمان، وهو ما ذكره في أول الباب، وعليه فإذا عمل كان إيمانه كاملا منجيا له من النار، وإذا لم يعمل صح إيمانه وكان غير كامل الايمان، وهذا زيادة تأكيد وبيان لما يفهم من قبله من أن عمل البر انما هو كمال الإيمان، وأن أصل الإيمان ثابت بدون عمل ولكنه إيمان ناقص.

قال المصنف رحمه الله: «**وَلاَ قَوْلٌ وَلاَ عَمَلٌ الاَّ بِنِيَّةٍ**» هذه هي الفائدة الثالثة التي من أجلها كرر المصنف القول بأن الإيمان قول باللسان الى آخر كلامه، ومعناها أنه لا يكمل ولا يصح قول ولا عمل مما هو مفتقر الى النية إلا بنية أي إخلاص لله تعالى وإفراده بالعبودية؛ لقول النبي ﷺ: «إنما الاعمال بالنيات» فالنية روح العمل، والإخلاص روح النية قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة الآية 5]، فالنية إكسير الأعمال تقلب أعيانها إلى الحسن وتزيدها في الثواب [شرح زروق على الرسالة 1 /61].

قال المصنف رحمه الله: «**وَلاَ قَوْلٌ وعَمَلٌ وَنِيَّةٌ الاَّ بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ**» هذه هي الفائدة الرابعة وهي أنه لا يكمل ولا يصح قول؛ أي نطق بالشهادتين، ولا عمل أي طاعة وعبادة، ولا نية أي قصد وإخلاص الا بموافقة السنة النبوية باتباعه ﷺ فيما جاء به واتباع السلف الصالح، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [سورة الحشر الآية 7]، وقال عليه الصلاة والسلام: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُم بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْها بالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ» [سنن أبي داوود باب في لزوم السنة].

من فوائد الدرس: بيان أثر اعتقاد القلب في توجيه الأعمال؛ فهو المحرك للجوارح، في إخلاصه وصدقِه وصلاحِه إخلاصُها وصدقها وصلاحها، وفي فساده فسادها، ولا يصلح القلب إلا بتوحيد الله تعالى والإقرار بربوبيته وألوهيته للعالمين، وبذلك تنطلق الجوارح معلنة عن ذلك التوحيد شهادةً باللسان وعملاً بالجوارح، فتؤتي شجرة الإيمان النابتةُ في القلب ثمارا في المعاملة والسلوك.

التقويم

1- أعرف الايمان لغة واصطلاحا.

2- أبين أقوال العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه.

3- أذكر أدلة زيادة الإيمان.

الاستثمار

قال الأستاذ العربي اللوه رحمه الله: «الإيمان والإسلام يختلف مفهومهما باعتبار اللغة؛ لأن الايمان مطلق التصديق؛ أي الإذعان لحكم المخبر، والإسلام مطلق الاستسلام والانقياد فهما متغايران من حيث المفهوم اللغوي قطعا، وكذا يختلف مفهومها باعتبار الشرع؛ لأن الإيمان هو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من أوامره ونواهيه، والإسلام هو الانقياد والخضوع للألوهية، وهو لا يتحقق إلا بقبول الأمر والنهي، فالإيمان في الشرع مفهومه تصديق الله تعالى فيما أخبر به من الأوامر والنواهي، والإسلام مفهومه الانقياد والخضوع لتلك الأوامر والنواهي فهما مفهومان شرعيان مختلفان قطعا»

[الرائد في علم العقائد ص: 60 بتصرف].

أتدبر النص جيدا وأجيب عما يلي:

1- ما الفرق بين الإيمان والإسلام؟

2- ما وجه التلازم بينهما؟

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن مصير العصاة من المؤمنين الذين يرتكبون الفواحش والمناكر.

الدرس 22

منع تكفير أحد من أهل القبلة بذنب وما يجب الإيمان به من الغيبيات

الأهداف

1- أن أتعرف مصير السعداء ومصير الأشقياء.

2- أن أدرك أنه لا يُكَفَّرُ مؤمن بذنب.

3- أن أستحضر فتنة القبر وسؤال الملكين وأُعِدَّ لذلك بالعمل الصالح.

التمهيد

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ». [صحيح البخاري كتاب الدعوات باب: التعوذ من فتنة الفقر]

ما حكم تكفير أحد من أهل القبلة؟ وما المراد بفتنة القبر؟ وما مصير أرواح السعداء؟ وما مصير أرواح الأشقياء؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «وَأَنَّهُ لاَ يُكَفَّرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَأَنَّ الشُهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحَ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلى يَوْمِ الدِّينِ، وَأَنَّ المُؤْمِنِينَ يُفْتَتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾.

الفهم

الشرح:

ناعمة : رافهة العيش.

يبعثون : يرسلون ويقامون.

يفتتنون: يبتلون ويختبرون.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن تحريم تكفير المؤمن بالذنب.

2- أستخلص من المتن مصير السعداء ومصير الأشقياء.

3- أستخرج من المتن فتنة القبر.

التحليل

أولا: منع تكفير أحد من أهل القبلة

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنَّهُ لاَ يُكَفَّرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ**» مما يجب اعتقاده أنه لا يكفر أحد من المسلمين بذنب صغيرا كان أو كبيرا إلا إذا أنكر معلوما من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج، أو استحل ذنبا كالزنى مثلا أو من تطاول على مقدس كالذات الإلهية أو الأنبياء، وهذا مذهب جميع أهل السنة سلفا وخلفا خلافا للخوارج؛ حيث قالوا: كل ذنب كبيرةٌ وكل كبيرة محبطة للعمل ومرتكبها كافر، وخلافا للمعتزلة؛ حيث قالوا: كل كبيرة محبطة للعمل ومرتكبها له منزلة بين منزلتين لا يسمى مؤمنا ولا كافرا، وإنما يقال له فاسق، وهذا بناء منهم على تحسين العقل وتقبيحه كما قال أبو الحسن رحمه الله. وقول المصنف: «**مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ**» أهل القبلة عبارة عن أهل الصلاة، وقيل هو اسم لكل مؤمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ صلى أو لم يصل.

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِهِمْ يُرْزَقُونَ**» مما يجب اعتقاده أن الشهداء أحياء عند ربهم أي في جنة ربهم يرزقون مثل ما يرزق الأحياء يأكلون ويشربون ويتلذذون تلذذا جسمانيا، وسُمُّوا شهداءَ، لأن أرواحهم أُحضرت دار السلام، أو لأنهم شهدوا الجنة، فالشهيد بمعنى الشاهد أي الحاضر للجنة. وأن حياتهم حقيقية كما هو ظاهر الآية الشريفة وعليه الجمهور.

ثانيا: مصير أرواح السعداء ومصير أرواح الأشقياء

1- مصير أرواح السعداء:

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَّةٌ نَاعِمَةٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**» مما يجب اعتقاده أن أرواح أهل السعادة وهم المؤمنون محسنهم ومسيئهم باقية غير فانية؛ إذ الموت ليس بفناء محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، وقول المصنف: «نَاعِمَةٌ» أي منعمة برؤيتها لمقعدها في الجنة في الغداة والعشي؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ، إِذَا مَاتَ، عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ...» [صحيح البخاري كتاب الجنائز باب: الميت يعرض عليه بالغداة والعشي].

2- مصير أرواح الأشقياء:

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلى يَوْمِ الدِّينِ**» أي أن أرواح الكفار الذين هم الأشقياء معذبة برؤيتها لمقعدها في النار، وغير ذلك من أنواع العذاب إلى يوم القيامة، وقد تضمن كلام المصنف أمرين:

- **الأول:** أن من الأرواح ما هو منعم بعد الموت ومنها ما هو معذب، ونعيمها وعذابها برؤية مقعدها في الجنة أو في النار؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ [سورة غافر الآية 46]، ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ، إِذَا مَاتَ، عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيُقَالُ هذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [صحيح البخاري كتاب الجنائز باب: الميت يعرض عليه بالغداة والعشي].

- **الأمر الثاني:** أن الأرواح باقية بعد الموت، ودليله الأحاديث الدالة على بقاء الأرواح وتصرفها ونعيمها وعذابها وسماعها وكلامها، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أنها حية باقية دراكة بحيث تدرك لذاتها وآلامها؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا وُضِعَت الجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أعناقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قالتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إلا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنسَانُ لَصَعِقَ». [صحيح البخاري كتاب الجنائز باب: قول الميت وهو على الجنازة قدموني]

ثالثا: فتنة القبر وأدلتها

قال المصنف رحمه الله: «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾» مما يجب اعتقاده أن المؤمنين يفتتون ويختبرون في قبورهم بسؤال الملكين: منكر - بفتح الكاف- ونكير، وسمي الملكان بمنكر ونكير؛ لأن خلقهما لا يشبه خلق أحد من المخلوقات بل لهما خلق بديع، وليس في خلقهما أنس للناظرين.

واستدل المصنف على فتنة القبر بقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة ابراهيم الآية 29] وقد بلغت بها الأخبار على فتنة القبر مبلغ التواتر؛ ففي صحيح البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ في الْقَبْرِ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إله إلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله فَذلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ» [صحيح البخاري كتاب التفسير باب: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَان فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولانِ له: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ...» [صحيح البخاري كتاب الجنائز باب: ما جاء في عذاب القبر].

من فوائد الدرس: تربية المسلم على عدم الوقوع في تكفير أحد من المسلمين سيرا على منهج السلف الصالح في هذا، والتزودُ بتقوى الله تعالى وطاعته إعدادا لفتنة القبر وما بعده من أهوال لا ينجو منها إلا من أتى الله بقلب سليم.

التقويم

1- أبين المقصود بأهل القبلة.

2- ما مصير السعداء؟ وما مصير الأشقياء؟

3- بماذا يُفتن المؤمن في قبره؟

الاستثمار

مما يجب الإيمان به سماعا أن الميت يعذب أو ينعم في قبره إن قبر، بل وحتى غير المقبور يعذب أو ينعم بعد موته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَنْزِهُ مِنَ الْبَوْلِ قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، ثُمَّ جَعَلَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: لَعَلَّهُمَا أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا».

[صحيح كتاب الجنائز البخاري باب: الجريد على القبر]

أتأمل الحديث جيدا وأستنتج ما يلي:

1- مماذا يكون عذاب القبر؟

2- ما هي الأعمال التي تخفف من عذاب القبر؟

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن الآتي:

1- من الذي يتولى قبض الأرواح؟

2- أبحث عن تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

الدرس 23

الإيمان بالملائكة عليهم السلام

الأهداف

1- أن أتعرف وجود ملائكة حفظة يكتبون أعمال العباد.

2- أن أتحقق أن ملك الموت مكلف بقبض الأرواح.

3- أن أستحضر مراقبة الله تعالى لي في سلوكي.

التمهيد

تقدم في درس سابق أن الناس يؤتون صحفهم وكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا للعرض على الله تعالى والسؤال والحساب خيرا أو شرا في يوم شعاره لا ظلم اليوم.

فمن كتب تلك الصحف ؟ ومن يقرأها؟ ومن الموكل بقبض أرواح العباد؟

المتن

قَالَ المصنف رَحِمَهُ الله: «وَأَنَّ عَلَى العِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ، وَأَنَّ مَلَكَ المَوْتِ يَقْبِضُ الأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ».

الفهم

الشرح:

حفظة : جمع حافظ مِن حفظ الشيء صانه ومنعه من التلف والضياع.

يقبض : يمسك ويأخذ.

الأرواح: مفرده روح وهو ما به حياة الأنفس.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن مهمة الحفظة.

2- أستخلص من المتن من يتولى قبض الأرواح.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: الإيمان بالملائكة الحفظة ومهمتهم

1- الإيمان بالملائكة الحفظة:

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنَّ عَلَى العِبَادِ حَفَظَةً**» مما يجب اعتقاده أن على العباد إنسهم وجنهم مؤمنهم وكافرهم ذكورا وإناثا من وقت التكليف حفظةً وكتبةً لورود النص به في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة؛ فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [سورة الانفطار الآية 10] وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق الآية 17-18]، وقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً﴾ [سورة الأنعام الآية 62] ومن الحديث قوله ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، يَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ قَالُوا: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ». [صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: تعرج الملائكة والروح إليه]

2- مهمة الملائكة الحفظة:

قال المصنف رحمه الله: «**يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ**» أي مهمة الحفظة كتابة أعمال العباد أقوالهم

وأفعالِهم حتى المباح والأنين في المرض، وعمل القلب يجعل الله لهم علامة على عمل القلب يميزون بذلك بين الحسنة والسيئة. والأصل فيما ذكره المصنف رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار الآيات 10-11-12].

وقول المصنف: «وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ» صرح بهذا دفعا لما قد يتوهم أن فائدة كتابة الحفظة أنه تعالى يخفى عليه شيء من أعمال العباد وأقوالهم وأمورهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وإنما فائدة توكيلهم لطفُ الله تعالى بعباده؛ لأنهم إذا علموا أن ملائكة تحفظ عليهم أقوالهم وأفعالهم ونياتهم وتتكتبها انزجروا عن المعاصي، وإقامةُ الحجة عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [سورة الكهف الآية 48]، وقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [سورة الطارق الآية 4].

ثانيا: الإيمان بأن ملك الموت قابض الأرواح

قال المصنف رحمه الله: «وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ» مما يجب اعتقاده أن ملك الموت يتولى قبض الأرواح كلها أرواح الإنس والجن وغيرهم من كل ما له روح، وكل ذلك بإذن ربه وأمره قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [سورة السجدة الآية 11]. وفي حديث طويل رواه الطبراني وغيره أن ملك الموت يقول: «وَاللَّهِ لَوْ أَرَدْت قَبْضَ رُوحِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرْت عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ الله هُوَ الَّذِي يَأْذَنُ بِقَبْضِهَا» وقد جاء في القرآن إسناد التوفي إلى الله تعالى تارة وإلى الملائكة تارة؛ قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [سورة الزمر الآية 39]، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [سورة الأنعام الآية 62]، والجواب أن إضافة التوفي إلى الله تعالى؛ لأنه الفاعل حقيقة، وإلى ملك الموت؛ لأنه المباشر لقبض الروح، وإلى الملائكة؛ لأنهم أعوان ملك الموت يأخذون في جذبها من البدن فهو قابض وهم معالجون.

من فوائد الدرس: استحضار مراقبة الله تعالى في كل شيء فهو سبحانه خبير بما يفعله الإنسان، أوكل على الإنسان حفظة لأفعاله وسيُطلعه على ذلك يوم العرض عليه، وبذلك يحقق

الإنسان، المقصد من وجوده، وهو تحقيق العبودية لله والإخلاص له في كل شيء، والاستجابة لأمره ونهيه فيتحقق بذلك القسط والحكمة في تصرفاته.

التقويم

1- من هم الحفظة ؟ ولماذا سموا بذلك؟

2- ما الغاية من كتابة أعمال العباد؟

3- متى تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار؟ وما فائدة ذلك؟

الاستثمار

قال الأستاذ العربي اللوه رحمه الله: فمنهم - الملائكة - الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم السلام وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله وهو ميكائيل عليه السلام، ومنهم الموكل بالصور وهو إسرافيل عليه السلام ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عز وجل، ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، ومنهم الموكل بحفظ العبد في حِله وترحاله وفي نومه وفي يقظته وفي كل حالاته، ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر وهم الكرام الكاتبون، ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم منكر ونكير، ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام، وغيرهم من أنواع الملائكة. [الرائد في علم العقائد ص: 199] بتصرف

أقرأ النص جيدا وأنجز الآتي:

1- أستخرج من النص أقسام الملائكة.

2- أستدل بأدلة عن كل قسم من الكتاب أو السنة.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن الآتي:

1- ما هي القرون المفضلة؟

2- أبحث عن تراجم الخلفاء الراشدين الأربعة وعن أفضلتيهم.

الدرس 24

تفاضل القرون وأفضلية الخلفاء الراشدين

الأهداف

1- أن أتعرف تفاضل القرون وسبب خيرية قرن النبي ﷺ وصحابته.

2- أن أدرك أفضلية الخلفاء الراشدين.

3- أن أقتدي بهدي الخلفاء الراشدين.

التمهيد

من الأمور التي نؤمن بها أن النبي ﷺ مبعوث إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وأنه ﷺ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة حتى أتاه اليقين، فالتحق بالرفيق الأعلى تاركا وراءه جيلا من الصحابة الذين حملوا بعد عبء إبلاغ الدين للعالمين، وفي زمرتهم الخلفاء الأربعة، وبعدهم التابعون وتابعو تابعيهم بإحسان في القرون المفضلة.

فما القرون المفضلة؟ وما أفضلية الخلفاء الراشدين؟

المتن

قال المصنف رحمه الله: «وَأَنَّ خَيْرَ القُرُونِ القَرْنُ الذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الذِّينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ، وأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ المَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ».

الفهم

الشرح:

يلونهم : يتبعونهم من غير فصل.

المهديون: المستقيمون.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن خير القرون.

2- أستخلص من المتن أفضلية الخلفاء الراشدين.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: أفضلية القرون الهجرية الثلاثة الأولى

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنَّ خَيْرَ القُرُونِ القَرْنُ الذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الذِّينَ يَلُونَهُمْ ثمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ**» مما يجب اعتقاده أن أفضل القرون والأزمنة الزمن الذي وُجِد فيه المؤمنون الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به وصدقوه واتبعوه ونصروه؛ لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران الآية 110]، والمعنى: ما أظهر الله من الناس أمة خيرا من أمة محمد ﷺ، قيل: خاطبهم الله خطاب مشافهة، وقيل: المراد بذلك جميع أمته.

وقد اختلف في مقدار القرن على أقوال أرجحها أنه مائة سنة، فأفضل القرون قرن الصحابة، ثم قرن الذين يلونهم وهم التابعون الذين رأوا الصحابة، ثم قرن الذين يلونهم وهم تابعو التابعين؛ فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، - قَالَ عِمْرَانُ لَا أَدْرِي ذَكَر ثِنْتَيْنِ أَو ثَلَاثاً بَعْدَ قَرْنِهِ- ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَنذُرُونَ وَلَا

يفُونَ وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ» [صحيح البخاري كتاب الأيمان والنذور باب إثم من لا يفي بالنذر].

قال المصنف: «ثُمَّ الذِّينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ» على هذه القرون مدار الدين وبهم الاقتداء.

ثانيا: مراتب الصحابة- رضي الله عنهم- في الفضل

1- أفضلية الصحابة رضي الله عنهم

قال المصنف رحمه الله: «**وأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ المَهْدِيُّونَ**» مما يجب اعتقاده قطعا أن أفضل هذه الأمة صحابة نبينا محمد ﷺ، وهم كلهم عدول بتزكية الله لهم واختيارهم لصحبة رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة أهل الحديبية الذين بايعوه رضي الله عنهم وفي أفضليتهم قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفتح الآية 18]، وأفضل أهل الحديبية أهلُ بدر، وأفضل أهل بدر العشرةُ المبشرون بالجنة أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وأفضل العشرة الخلفاء الأربعة الراشدون، وسموا خلفاء؛ لأنهم خلفوا رسول الله ﷺ في الأحكام.

2- أفضلية الخلفاء الراشدين:

قال المصنف رحمه الله: «**أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانْ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ**» هؤلاء هم الخلفاء الراشدون وهم:

1- **أبو بكر الصديق رضي الله عنه**، واسمه عبد الله بن أبي قحافة بويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ بإجماع الصحابة، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام مات وسنه كَسِنِّ النبي ﷺ ثلاثٌ وستون سنة.

2- **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** وكنيته أبو حفص ولقبه الفاروق ولي الخلافة باستخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه له، وأجمع الصحابة على خلافته، وكانت مدة خلافته عشرة أعوام وستة أشهر وخمس ليال وسنه كسن أبي بكر رضي الله عنه، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين.

3- **عثمان بن عفان رضي الله عنه**، يلقب ذا النورين؛ لأنه تزوج بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم، واحدة بعد وفاة الأخرى وُلِّي الخلافة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما.

4- **علي بن أبي طالب رضي الله عنه**، يكنى أبا الحسن، وكناه النبي ﷺ أبا تراب، كانت خلافته أربع سنوات وتسعة أشهر.

وقد وردت في مناقب الخلفاء الراشدين أحاديث كثيرة دالة على علو قدرهم، وعظم منزلتهم، ومحاسن أخلاقهم.

من فوائد الدرس: إبراز مكانة الصحابة رضي الله عنهم عموما وأفضلية الخلفاء الأربعة خصوصا لمحبتهم، والتأسي بهم في أخلاقهم، والدفاع عنهم، إذ ذاك هو هدي السلف الصالح في محبة الصحابة والترضي عنهم جميعا.

التقويم

1- أذكر الراجح من أقوال العلماء في معنى القرن.

2 - أبين أفضلية الصحابة عموما والخلفاء الراشدين خصوصا مع الاستدلال على ذلك.

الاستثمار

جاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة ؟ قال: «وما أعددت لها»؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله،

قال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحنا بقول رسول الله ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

[صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب: مناقب عمر بن الخطاب].

أتأمل الحديث وأنجز الآتي:

1- أبحث عن أساليب الرسول ﷺ في التعليم.

2- أبحث عن آثار محبة النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عما يجب اعتقاده في حق الصحابة رضي الله عنهم، وما يستلزمه من آداب.

الدرس 25

ما يجب اعتقاده في شأن الصحابة رضي الله عنهم

الأهداف

1- أن أتعرف منزلة الصحابة رضوان الله عليهم.

2- أن أستحضر وجوب توقير الصحابة وحسن الظن بهم.

التمهيد

أمة سيدنا محمد ﷺ خير الأمم وأفضلها على الإطلاق، وتتفاوت هذه الخيرية من قرن إلى قرن ومن شخص إلى شخص؛ فأفضل القرون قرن النبي ﷺ وصحابته، وأفضل الناس في أمة محمد ﷺ هم صحابته الكرام وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة.

فما منزلة الصحابة؟ وماذا يجب علينا نحوهم؟

المتن

قَال المصنف رَحِمَهُ الله: «وَأَنْ لَا يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنُّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ».

الفهم

الشرح:

شجر : وقع.

يلتمس: يطلب.

يظن : يعتقد.

استخلاص مضامين المتن:

1. أستخلص من المتن الآداب التي ينبغي التأدب بها مع الصحابة رضوان الله عليهم.
2. أستخرج من المتن ماذا يجب أن يلتمس لهم فيما وقع بينهم رضي الله عنهم.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: التأدب مع الصحابة رضي اللّه عنهم

1 - ذكرهم بأحسن الذكر رضي الله عنهم:

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنْ لَا يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ إِلاَّ بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ**» مما يجب اعتقاده أن ذكر جميع الصحابة بأحسن الذكر مأمور به؛ لما فيه من امتثال الأمر بتعظيمهم ومحبتهم فهم المؤمنون الذين عاشوا مع الرسول صلى الله عليهم وسلم وآمنوا به وعزروه ونصروه واستجابوا لدعوته في حياته ودافعوا عنها بعد موته ﷺ. وقد أوصى النبي ﷺ بمحبتهم وحذر من إذايتهم فقال ﷺ: «اللهَ اللهَ في أَصْحابِي لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ومَنْ أَبْغَضَهُمْ فبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ومَنْ آذاهُمْ فقد آذانِي ومَنْ آذاني فقد آذى اللهَ ومَنْ آذى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ» [صحيح ابن حبان باب فضل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم].

2- وجوب محبتهم رضي الله عنهم:

محبة الصحابة رضي الله عنهم واجبة لوجوه ثلاثة:

الأول: حسن أخلاقهم وجميل أفعالهم، وعظيم نصيحتهم للأمة، وشفقتهم على الدين والشريعة، وأداؤهم الأمانة، وبسط العدل بين الأمة بالاستقامة.

الثاني: حسنُ صحبتهم لنبي الرحمة ﷺ، وجميلُ عشرتهم معه في كل وقت؛ فقد كان ﷺ لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، ولا يُحِدُّون إليه النظر تعظيما له، حتى قال عروة بن مسعود: «والله لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا» [سنن البيهقي باب المهادنة على النظر].

الثالث: محبة الله لهم، ونزول القرآن برضاه عنهم، واختياره إياهم لصحبة نبيه ﷺ، ثم رضا النبي عليه الصلاة والسلام عنهم، وصالحُ دعائه لهم، وشدةُ سروره بهم، وعظيمُ مدحه لهم؛ فعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابي فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ» [صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب: تحريم سب الصحابة].

ثانيا: وجوب الإمساك عما شجر بينهم

قال المصنف رحمه الله: «**وَالإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**» يجب الكف والسكوت عما شجر ووقع بين الصحابة رضي الله عنهم من نزاع، ويجب على كل مسلم أن يتأول ما نُقل عنهم نقلا صحيحا مما وقع بينهم أحسن التأويل؛ فيؤول ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما أن عليا رضي الله عنهما رأى باجتهاده في فقه الأولويات أن استقرار أمر الحكم مقدم على القيام بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه تقديما للكلي على الجزئي؛ إذ لا يستقيم أمر الناس إلا بإمام، وطلب معاوية رضي الله عنه القصاص من الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه قبل عقد البيعة لعلي رضي الله عنه، فوقع ما وقع، واتفق أهل السنة على أن عليا اجتهد وأصاب فله أجران، وأن معاوية اجتهد وأخطأ فله أجر واحد رضي الله عنهما.

وبذلك يؤول ما وقع بين علي والزبير وطلحة في وقعة الجمل بالعراق، ولذلك لما سأل أهل البصرة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أمر عثمان وعن أمر علي رضي الله عنهما قال: «﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾» [سورة البقرة الآية 140] وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «مثل أصحاب محمد مثل العين، ودواء العين ترك مسها» [شرح زروق على الرسالة 1/ 69].

ثالثا: التماس العذر والمخرج لهم وحسن الظن بهم

1 - التماس العذر لهم:

قال المصنف رحمه الله: «**وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ**» الصحابة أحق الناس أن يُطلب لهم أحسنُ المخارج وأصحُّ التاويلات فيما وقع بينهم، وأن يُعتقد أن ذلك لم يكن لأجل الدنيا؛ فلم يكن تنازعهم في رياستها ونيل حظوظها وشهواتها، بل كان الدين هدفهم الأسمى وما وقع بينهم كان اجتهادا منهم.

2- حسن الظن بهم:

قال المصنف رحمه الله: «**وَيُظَنُّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ**» يجب على المسلم أن يحسن الظن بصحابة رسول الله ﷺ؛ فقد كان الأئمة ومنهم الإمام مالك رحمهم الله مع قوة علمهم ورسوخ قدمهم في الدين وقرب عهدهم بعهد الصحابة لا يخوضون في ذلك ولا يذكرونه، فغيرهم ممن قل عمله أحق وأولى بهذا، فالصواب الاعراض عما وقع بين الصحابة واعتقاد أن جميع ما وقع بينهم اجتهاد، وأن الخيرية ثابتة لجميعهم لقوله ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» [صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ].

من فوائد الدرس: التعريف بمنزلة الصحابة وحقهم في التقدير والمحبة؛ إذ محبتهم محبة لرسول الله ﷺ، وتزكيةُ القلب من ظن السوء بهم، وتزكية اللسان من الوقوع فيهم بالإمساك عما شجر بينهم وحمله على محمل حسن، وذاك عين الحكمة والقسط.

التقويم

1- بماذا يجب ذكر الصحابة رضوان الله عليهم؟

2- ما معنى الإمساك عما شجر بينهم؟

3- كيف يمكن التماس العذر للصحابة رضوان الله عليهم فيما وقع بينهم؟

الاستثمار

أخرج الحاكم في المستدرك عَنْ أَبِي جُمُعَةَ، قَالَ: تَغَدَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا رَسُولَ الله أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا أَسْلَمْنَا مَعَكَ، وَجَاهَدْنَا مَعَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي»

[المستدرك لأبي عبد الحاكم ذكر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين].

أقرأ الحديث وأبرز منه:

1- مزايا الصحابة رضوان الله عليهم.

2- مكانة المؤمنين ممن لم ير النبي ﷺ.

الإعداد القبلي

أقرأ متن الدرس القادم وأبحث عن الآتي:

1- حكم طاعة ولي الأمر.

2- كيفية التعامل مع المجادلين في الدين.

الدرس 26

وجوب طاعة ولي الأمر وترك المراء في الدين

الأهداف

1- أن أتعرف حكم طاعة الإمام.

2- أن أدرك مخاطر المراء في الدين.

3- أن أستحضر وجوب الابتعاد عن البدع.

4- أن أتمثل مقاصد طاعة ولي الأمر وترك المراء.

التمهيد

لا تستقيم حياة المسلمين إلا بوجود قائد يرعى شؤونهم، وولي أمر يحفظ جماعتهم ويحمي دينهم ودنياهم ويسهر على أمنهم وسلامهم في دينهم ودنياهم.

فما المقصود بولي الأمر؟ وما حكم طاعته في الإسلام؟ وما هي شروطها ؟ وما دليل وجوب طاعة الأمير في القرآن ؟

المتن

قَال المصنف رَحِمَهُ الله: «وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، واقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ والاسْتِغْفَارُ لَهُمْ، وتَرْكُ المِرَاءِ والجِدَالِ فِي الدِّينِ وتَرْكُ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ المُحْدِثُونَ، وصَلَى اللهُ عَلَى سَيدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيهِ وعَلَى آلهِ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَتِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيما كَثِيرا».

الفهم

الشرح:

أئمة المسلمين: جمع إمام، وأئمة المسلمين هم القائمين بأمورهم.

ولاة : جمع والٍ وهو من يتولى شؤون غيره.

اقتفاء : اتباع.

المراء : الجدال والخصام.

أحدث : اخترع.

استخلاص مضامين المتن:

1- أستخرج من المتن حكم طاعة أئمة المسلمين.

2- أستخلص من المتن حكم المراء في الدين.

التحليل

اشتمل الدرس على المحاور الآتية:

أولا: حكم طاعة ولاة أمور المسلمين

قال المصنف رحمه الله: «**وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ**» طاعة أئمة المسلمين وولاة أمورهم واجبة اعتقادا وفعلا؛ بامتثال أوامرهم، والانتهاء عن زواجرهم، وفسر المصنف الأئمة بقوله: «مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ» أي حكامهم وعلمائهم فجمع بين القولين في تأويل أولي الأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ ومعنى كلامه رحمه الله أن من واجب أمور الديانات طاعةَ ولاة الأمر فيما ليس بمعصية ولا يؤدي إلى معصية؛ فبِولاة الأمر تُقام الأحكام وتصلُح الأحوال وتُحفظ

الأعراض والأموال، فطاعتهم طاعة لله ولرسوله ﷺ؛ فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِى فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ عَصَى اللهَ وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِى فَقَدْ أَطَاعَنِى وَمَنْ عَصَى أَمِيرِى فَقَدْ عَصَانِى»، وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسلم السّمعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ أَو كره إن لم يُؤمر بِمَعْصِيَة، فَإِن أُمرَ بِمَعْصِيَة فَلَا سمع وَلَا طَاعَة» [صحيح مسلم باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية].

ثانيا: اتباع السلف الصالح والاستغفار لهم

1 - اتباع السلف الصالح:

قال المصنف رحمه الله: «**وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، واقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ**» إتباع طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وموافقتُهم في علمهم وعملهم من الواجبات الشرعية، سواء تلقوا ذلك من النبي ﷺ، أو كان ذلك استنباطا واجتهادا منهم، فيجب إتباعهم فيما تأولوه واستنبطوه عن اجتهاد منهم، ولذلك كان مالك رضي الله عنه يعمل بما اجتمع أهل المدينة على العمل به، وبما استقر عليه قول أكثرهم مما وقع فيه الاختلاف. قال المصنف رحمه الله في آخر كتاب الرسالة: «**وَفِي اتِّبَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ النَّجَاةُ وَهُمْ الْقُدْوَةُ فِي تَأْوِيلِ مَا تَأَوَّلُوهُ وَاسْتِخْرَاجِ مَا اسْتَنْبَطُوهُ وَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي الْفُرُوعِ وَالْحَوَادِثِ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ**».

2 - الاستغفار للسلف الصالح:

قال المصنف رحمه الله: «**والاِسْتِغْفَارُ لَهُمْ**» من الواجبات الدينية طلب المغفرة للسلف الصالح لِما لهم من الحق على من بعدهم فيما قاموا به من أمر الشريعة؛ إذ أصَّلوا أصولها، وحصَّلوا فروعها، وجمعوا نصوصها، ونصحوا الأمة بما فعلوا، فما من أحد من الأمة إلا ولهم عليه منة في دينه ودنياه بحسب ما وصل إليه منهم، فوجبت مكافأتهم على ما قدموا بالاستغفار لهم؛ لقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾

[سورة الحشر الآية 10] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «... وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ بِهِ فَأَثْنُوا عَلَيْهِ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» [سنن البيهقي كتاب

الزكاة باب: عطية من سأل بالله عز وجل] وهذا لا يختص بالصحابة، بل يعم كل من سبقنا بالإيمان وأتى إلينا معروفا.

ثالثا: ترك المراء والجدال والبدع

1- ترك المراء والجدال في الدين:

قال المصنف رحمه الله: «**وتَرْكُ المِرَاءِ والجِدَالِ فِي الدِّينِ**» المراد بالمِراء والجدال جَحْدُ الحق بعد ظهوره، ودفعُه بالباطل والجدالِ؛ فترك المراء والجدال في الدين واجب شرعي؛ لأنه يؤدي إلى إيقاع الشبهة في القلب وإظهار الشرف على الناس والمباهاة والكبر والعُجب والحسد والحقد والمنافسة وتزكية النفس وغير ذلك من المفاسد، قال مالك رضي الله عنه: إن هذا الجدال ليس من الدين في شيء. فإن كان المقصود من الجدال ردَّ باطل أو إظهارَ حق دون عناد وجحود وقَصْدِ ظهور على الخصم فذلك جائز مندوب إليه.

2- ترك ما أحدثه أهل البدع:

قال المصنف: «**وتَرْكُ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ المُحْدِثُونَ**» ترك ما أحدثه المُحدِثون واجب بالكتاب والسنة فيجب الاعتصام بالكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح، فعن أم المومنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» [صحيح البخاري كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود] ومعنى ما ليس منه ما لم يكن موافقا لمقاصده وقواعده، أما ما كان موافقا فهو منه، إذ لا يصدق الإحداث إلا على ما هو جديد، ولا يوصف بكونه من أمر الدين أوْلاَ إلا حسب القواعد والمقاصد، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وعلى هذا القياس في باقي الأحكام، فلو كان المعنى من أتى بما لم يرد منصوصا في الشرع... لم يصح وصفه بالإحداث.

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب الناس فيحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله، ويقول: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِىَ لَهُ، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهَدْىِ هَدْىُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ» [صحيح مسلم كاب الجمعة باب

تخفيف الصلاة والخطبة].

ثم ختم المصنف رحمه الله هذا الباب بمثل ما ختم به الكتاب فقال: «**وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيهِ وعَلَى آلهِ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَتِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيما كَثِيرا**».

من فوائد الدرس: تربية المسلم على التمسك بما كان عليه السلف الصالح من هدي الإسلام في صورته المشرقة بالرحمة والمحبة والإخاء، والابتعادِ عن المراء والجدال في الدين لما ينشأ عن ذلك من آثار سلبية على وحدة المسلمين وتوادهم وتحابهم وتآخيهم وبذل طاقات فكرية فيما لا يعود على المسلم بالنفع في دنياه وآخرته.

التقويم

1- ماذا يجب على المسلمين نحو أولياء أمورهم؟ مع الاستدلال من الكتاب والسنة والعقل.

2- من هم السلف الصالح ؟ ولماذا نستغفر لهم؟ مع الاستدلال.

الاستثمار

قال الإمام ابن غازي رحمه الله ما نصه:

كن تابعا ووافقن من اتبع *** وقسمن لخمسة هذي البدع
واجبة كمثل كتب العلم *** ونقط مصحف لأجل الفهم
ومستحبة كمثل الكانس *** والجسر والمحراب والمدارس
ثم مباحة كمثل المنخل *** وذات كره كخوان المأكل
ثم حرام كاغتسال بالفتات *** وكاسيات عاريات مائلات

[**الدخيرة للقرافي** 13 /235]

– أتأمل الأبيات وأستخرج مضمونها.

تراجم الأعلام

1 - أبو الحسن علي بن محمد المنوفي المصري الشاذلي، له ستة شروح على الرسالة أشهرها: كفاية الطالب الرباني، ومؤلفات أخرى. توفي عام 939هـ.

2 - العدوي، هو أبو الحسن علي بن أحمد الشهير بالصعيدي المالكي نزيل مصر، له مؤلفات كثيرة منها حاشية على شرح أبي الحسن للرسالة على الرسالة، ومنها حاشية على ألفية العراقي، وغيرها من المؤلفات. توفي عام 1189هـ.

3 - زروق أحمد بن محمد البرنسي الفاسي، من أشهر مؤلفاته: النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، وشرح على الرسالة وغيرهما. توفي عام 899هـ.

4 - القاضي عبد الوهاب أبو محمد بن علي بن نصر البغدادي المالكي، من أوائل شراح توحيد الرسالة للقيرواني توفي عام 422 هـ.

5 - الصاوي، هو أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي شهاب الدين العارف بالله، قدوة السالكين، له تآليف كثيرة منها شرح جوهرة التوحيد للقاني. توفي عام 1241هـ.

6 - الغزالي، هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي ألف كثيرا من الكتب في مختلف الفنون منها: إحياء علوم الدين ومقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة وبداية الهداية وشفاء الغليل وتهذيب الأصول وغيرها توفي سنة 505هـ.

7 - سفيان الثوري، هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع ولد سنة 97 هـ بالكوفة بالعراق وتوفى سنة احدى وستين ومائة وله ثلاثة وستون عاما وهو إمام مشهور من تابعي التابعين مقتدى به.

8 - ابن عطاء الله السكندري هو تاج الدين بن عطاء الله أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم الجذامي الاسكندراني، الإمام الصوفي المتكلم، له مؤلفات كثيرة منها: الحكم العطائية، والتنوير في إسقاط التدبير، ولطائف المنن وغيرها. توفي سنة 709هـ.

9 - الضرير هو أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الملقب بالضرير أصله من سرقسطة بالأندلس سكن مراكش، من أشهر مؤلفاته: "التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد". توفي سنة 520 هـ.

10 - أبو القاسم القشيري هو الأستاذ عبد الكريم بن هوازن بن عبد المالك القشيري الخراساني النيسابوري، الشافعي، الصوفي، الفقيه المفسر المربي من مؤلفاته: الرسالة القشيرية، والتفسير الكبير، وآداب الصوفية، وغيرها. توفي سنة 465 هـ.

11 - ابن عساكر هو أبو القاسم الدمشقي المعروف بابن عساكر، كان حافظا متقنا من مصنفاته: تاريخ دمشق، وفضائل أصحاب الحديث. توفي عام 565 هـ.

12 - ابن عطية هو الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية المحاربي من أهل غرناطة له مؤلفات كثيرة من أشهرها: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. توفي عام 542 هـ.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع وفق عد المصحف المحمدي

2. إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة لأحمد المقري التلمساني دار الفكر بدون تاريخ.

3. تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي دار طيبة للنشر والتوزيع ط 2 /1420هـ- 1999 م

4. التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد لأبي الحجاج يوسف الضرير طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب. ط 1 /1437 هـ مكتبة الرحمة المهداة مصر.

5. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب العلمية بيروت.

6. جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني بشرح هداية المريد للمؤلف مكتبة المعارف للطباعة والنشر ط 1432/1 هـ.

7. حاشية العدوي على شرح أبي الحسن للرسالة المسمى: كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني طبعة دار الفكر.

8. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم دار الكتب العلمية- بيروت طبعة 1409هـ

9. الرائد في علم العقائد للعربي اللوه طبعة كريماديس العرائش تطوان 1974م.

10. سنن أبي داود للحافظ سليمان بن الاشعث السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت.

11. سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف طبعة دار الفكر.

12. السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين الناشر دائرة المعارف ط 1 /1344 هـ

13. شرح العلامة أحمد بن محمد البرنسى الفاسي- المعروف بزروق- على رسالة ابن أبي زيد القيرواني طبعة دار الفكر 1410 هـ- 1982 م

14. شرح العلامة قاسم بن عيسى التنوخي على متن الرسالة. دار الفكر بدون تاريخ.

15. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي تح: شعيب الأرنؤوط الناشر مؤسسة الرسالة.

16. صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري طبعة دار ابن كثير ط/3/ 1407هـ- 1987م

17. صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت.

18. كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني لأبي الحسن المالكي.

19. لسان العرب لابن منظور

20. المحرر الوجيز لابن عطية طبعة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1395هـ/1975م

21. مختصر الدر الثمين والمورد المعين للشيخ ميارة، على المرشد المعين لعبد الواحد بن عاشر طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية المملكة المغربية.

22. المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري دار الكتب العلمية بيروت ط 1 /1411 هـ.

فهرست الموضوعات